٥٦

مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

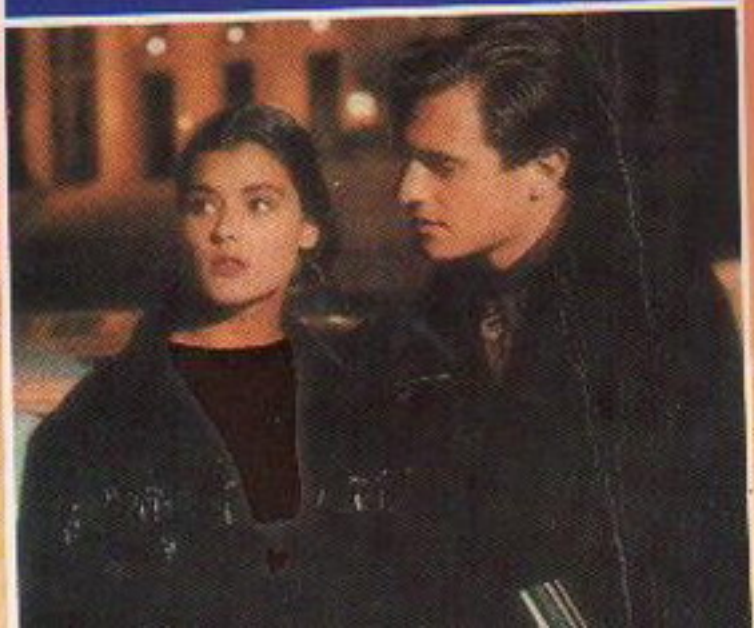

مجلة روايات أحلام

فراشة المحبة

امرأة بلا وجه

كانت سوكي قبل تسع سنوات تلميذة مرتبكة خجول، لكن جو هارلو حمل غرورها الهش ورماه تحت قدميه بملاحظة واحدة خالية من الشفقة.

ولم تنس سوكي الألم الذي سببه لها، لكن جو نسي، فهو لم يتخيل أن الفتاة الساحرة التي أدارت رأسه هي نفسها المراهقة السمينة التي سخر منها منذ زمن.

وعادت سوكي إلى حياته، لتنتقم بطريقتها الخاصة من الرجل الوحيد الذي أحبته والذي تكرهه الآن بكل جوارحها.

لكن أليست تلعب لعبة خطرة مع رجل مثل جويل هارلو؟ وهل يمكن أن يرتد الانتقام على صاحبه؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

مجلة روايات احلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

١ ـ الأسمر الطويل الذي تكرهه

ارتشفت سوكي بحذر بعض الشراب من كأسها، وما صدمها شعورها بيدها غير ثابتة تماماً. لقد توقعت هذه اللحظات منذ أسابيع، وكانت تعدّ النفس لها منذ أخبروها بحفل الافتتاح الذي يُقام من أجل فندق «دياموند» أجدد فندق في سلسلة فنادق «هارلو» وأحدثها، فلماذا يؤثر فيها الآن؟

ـ أيُهم الرجل الكبير؟

وصلت همسة ميللي إلى مسمعي سوكي بوضوح على الرغم من بعدها عنها، فلم تستطع سوى أن تبتسم لاهتياج الفتاة الأصغر سناً. ولولا احتراسها لسمع سؤالها «الرجل الكبير» نفسه.

لكن بسمتها تلاشت وأصبحت تجهماً عندما نظرت إلى الباب الذي أطلّ منه جماعة من الناس، رحّب بهم واستقبلهم رجل صغير الجسم بدينه يرتدي سترة رسمية. وهو على الأرجح مدير الفندق. حين بدأ الرجل يظهر اختلافاً في التودد لرجل معين افترّ ثغرها عن ابتسامة. أليس واضحاً من هو جويل هارلو؟ لم يكن بينهم إلا رجل واحد تظهر عليه سيماء الملك، والقدرة على إدارة سلسلة هارلو وذلك من رأسه الأسود إلى أخمص قدميه حيث الحذاء الغالي الثمن، المصنوع يدوياً.

وما أدهشها في الواقع مجيئه وحده... فقد كانت تتوقع رؤية

أكثر مروءة تتعلق بذراعه.

دنت ميللي منها، تضيء وجهها الصغير العابث الإثارة.

- أتعرفينه سوكي؟

أشارت سوكي بيدها التي تحمل الفنجان:

- إنه الذي في الوسط.

أضحت عينا ميللي بحيرتين زرقاوين نجلاوين

- الأسمر الطويل؟ إنه أصغر سناً مما تصورت... إنه رائع! لم أتوقع أن يكون على هذه الوسامة.

لا... فسوكي نفسها لم تتوقع أن يكون نجم هارلو هذه الطلة البهية الصادقة. في الواقع أذهلتها طلته عندما أتى زائراً منزلهم... ولكن ذهولها ذاك حدث منذ سنوات عديدة، حين كانت أصغر من ميللي. أو بالأحرى حين كانت طفلة... لقد كبرت كثيراً منذ ذاك الحين.

أم تراها لم تكبر؟ حين أكملت احتساء الشاي اطمأنت قليلاً لأنها لاحظت أن ارتعاشة يديها قد تلاشت. وكانت تلك الرعشة قد أقلقتها، وجعلتها تتساءل ما إذا كانت سوكي الصغيرة قد دفنت عميقاً أم تراها ما تزال تحت السطح بقليل، مستعدة للبروز حينما لا تتوقع ذلك.

- كم الساعة الآن؟

أضحت أسئلة ميللي المتتالية مزعجة، خاصة وأن لدى سوكي فكرة كافية عن سبب سؤالها هذا. فنظرت إلى ساعتها الذهبية الرقيقة.

- التاسعة إلا ربعاً.

من المقرر أن يتعرفن الى جوبل هارلو في التاسعة. وإذا أخذنا الدقة الشديدة التي نظمت فيها هذه الحفلة الرسمية مقياساً

فهذا يعني أن اللقاء سيكون فعلاً في تمام التاسعة. فمنذ أن وطئت أقدام سوكي وميللي والفتيات الأخريات فندق «دياموند» والتوجيهات والتعليمات تأتيهن من كل حدب وصوب حتى شعرت معها بأنها دولاب في آلة، أو جزء صغير في مجموع ضخم. وهذا كله قبل ظهور جوبل هارلو، الذي يجري تنظيم هذا الحفل من أجله.

إن شعار فنادق هارلو «الراحة والكفاءة» والجميع الليلة على الأقل يعيش في هذا الجو. لم تكن قد شاهدت أياً من غرف الفندق، لكن لو أخذت قاعة الطعام الفخمة، ذات الثريات المزخرفة، والسجاد السميك الناعم، والستائر المخملية الحمراء المتألقة، معياراً فهذا يعني أن لسائر أنحاء الفندق سمعة متألقة وهي في السمعة المتألقة ميزة هذه السلسلة المميزة من الفنادق. كان عليها أن تعترف أن مدير هارلو الاداري هو المثال الرائع للتراتبية الخاصة. فوصوله مقرر في الثامنة والنصف، وقد سمعت في الثامنة وتسعة وعشرين دقيقة ضجة مكبوتة وحركة هائجة أعلنتا عن وجوده في البهو الرئيسي.

قالت ميللي

- لم يبق سوى ربع ساعة.

تمتمت سوكي بما يشبه الموافقة ثم أدارت نظرها فيما حولها بحثاً عن مكان تضع فيه كوبها الذي لم تنهه بعد، لكن هذا لا يهم. ثمة سيل من السقاة المرتدين سراويل سوداء، وقمصان بيضاء، والواضعين ربطات عنق فراشية الشكل يدورون باستمرار حاملين صواني مليئة بالشراب على أنواعه، وهذا يعني أنها تستطيع تناول كوباً آخر لو شاءت. أما الآن فهي بحاجة إلى بعض الهدوء والسكينة.

تحركت برشاقة وخفة على الطريق الذي أصبح طبيعيا ومألوفاً بعد ساعات من التمرين، ثم قطعت الغرفة المكتظة غير عابئة بنظرات الإعجاب.. فهي معتادة على الاهتمام العلني بها حتى باتت نظرات المعجبين لا تزعجها خاصة بعدما استطاعت عزل نفسها عن نظرات الإعجاب تلك.

كانت غرفة الزينة المعدّة للسيدات أنيقة كقاعة الطعام وهي ذات لون وردي وأبيض تزخر بالصابون الغالي الثمن الزكي الرائحة، والمناشف الناعمة السميكة، وباقة أزهار تعبق رائحتها في أرجاء الغرفة.

كان ماكياجها على الرغم من حرارة الغرفة المكتظة التي كانت فيها ثابتاً، ولكن لا ضير من بعض اللمسات خاصة وأن أحمر الشفاه يحتاج إلى تجديد. شرعت سوكي على الفور القيام بالإصلاحات اللازمة. كانت يداها وهي تضيف لوناً هنا ورشة بودرة هناك بارعة. أخيراً وبعد نظرة سريعة إلى المرآة وجدت أنها راضية عن نفسها فوجّهت اهتمامها إلى شعرها.

قُصّ شعرها القصير الكثيف على يد فنان.. ورُتبت كل شعرة لامعة منه في مكانها الصحيح. كانت تسريحة شعرها قد أصبحت علامة فارقة لها، تبرز عينيها الخضراوين اللوزيتي الشكل المائلتين قليلاً، وتجعلها تبدو صورة عن الملكة الفرعونية كليوبترا.. وهو شبه يصرّ وكيلها على اللعب عليه منذ بدأت العمل في عالم الأزياء.

بينما كانت تمرر فرشاتها في شعرها، شعرت شعوراً غريباً يشبه تحركات فراشات في معدتها.. فتوقفت يدها، وعبست... لا يمكن أن تكون متوترة! لقد شفتها سنون الظهور العلني من الرهبة من المسرح... وهي بالتأكيد لا تخشى جو هارلو. كما أنها تشك

في أن يتذكرها.. بل تتمنى ألا يتذكرها... فالتأثير الذي تريد أن تتركه في نفسه سيفشل إن ربط سوكي باكس بتلك الفتاة المراهقة ذات السابعة عشرة ربيعاً التي عرفها يوماً، باسم روزي بلاك.

بعد ثوانٍ أخرى رشّت على عنقها من عطرها المفضل، وبذلك أصبحت مستعدة.

وقفت متراجعة إلى الوراء تنظر إلى انعكاس صورتها برضى. وقالت بصوت مرتفع وبغمزة متآمرة لصورتها:

ـ فلنرَ إن كان سيعرفني الآن.

قفزت رودا حالما ظهرت سوكي في قاعة الطعام.

ـ أين كنت؟ فتشت عنكِ في كل مكان!

ـ كنت أُصلح ماكياجي.

ـ تصلحينه.. سوكي، تعلمين أنك تبدين رائعة دائماً.. هيا بنا..

أسرعت بها بين الجموع إلى حيث تقف ميللي والفتاتين.

ـ سيأتي السيد موريس مع السيد هارلو في أي لحظة الآن.

ـ لا تنفعلي... إنها لا تكاد تبلغ التاسعة.

الراحة والكفاءة.. دوّت الكلمتان في رأسهاحالما دقّت الساعة الكبيرة القديمة القابعة في زاوية القاعة معلنة أنها تمام التاسعة حتى شاهدت المجموعة التي ترافق جويل هارلو تتجه نحوها.. ولكن ما أدهشها أن راحتي يديها عرقتا، فمسحتهما بقماش فستانها الناعم من موضعها حيث كانت الأخيرة في صف مؤلف من أربعة.

ـ وهؤلاء هنّ الشابات اللواتي سيقدمن عرض الأزياء في الغد.

تعرف سوكي هذا الصوت، فهو صوت همفري موريس، الرجل الذي أشرف على هذه الترتيبات جميعها، والذي استقبلهن حين وصولهن الليلة. رددت في نفسها ساخرة «نائب المدير».

- هذه الآنسة رودا ويتر.

إنه على قاب قوس منها يمسك يد رودا متمتماً بضع كلمات مستساغة. راحت سوكي ترمقه من تحت أهدابها الكثيفة متسائلة: أتغير بعد هذه السنوات كلها؟

لا. لم يترك الزمن أثراً فيه. ربما هناك خطوط خفيفة حول أنفه وفمه. أما تصميم وجهه القاسي العظام والنحيل، فما زال على حاله. إنه وجه رجولي قوي، ذو قسمات حادة وفك مربع وفم صارم يبرز ثقة بالنفس هي أقرب إلى العجرفة وإلى النزعة القيادية، واللمسة العدوانية، وهذه الصفات جميعها ميّزته ووضعته في مرتبة مرموقة رغم عمره الصغير نسبياً. فهو في الرابعة والثلاثين.

كان الشيء الوحيد الناعم فيه خصلة شعر حريرية بنية قاتمة تغطي جبينه، خصلة استرسلت على جبينه المرتفع مضفية عليه مظهراً طفولياً. ولكن سوكي تعرف ما يجعلها لا تتأثر بمظهره الخداع.

- وأخيراً نجمة العرض.. الآنسة سوكي باكس.

أدركت سوكي مذعورة أن الحديث مع رودا انتهى، وأن المجموعة أصبحت قربها إذ وقف جويل هارلو أمامها مباشرة، ماداً يده مصافحاً.

- من دواعي سروري مقابلتك آنسة باكس.

أمسكت يدها يد ثابتة قوية، فقاومت رغبة في الانحناء لتحيته... فلقد بدا لها شخصية ملوكية. سمعته يقول:

- أعرف طبعاً اسمك ووجهك خير معرفة.. لذا يسرني أنك وجدت الوقت اللازم لإتمام هذه المهمة وموافقتها على مواعيدك.

ابتسمت سوكي بتهذيب:

- أنا فعلاً مشغولة جداً.

طريقته في النظر مباشرة إلى عيني من يكلمه هي ما سلبتها لبها حين كانت في السابعة عشرة. ولكنها لن تؤثر فيها في الوقت الحاضر... أوه لا سيد هارلو. لن يخيفني شيء مما تفعله بعد الآن. قالت:

- ولكنني لم أستطع رفض عرض تصاميم ديور.

سرّها ما قالته، لأنه يوحي بأن الملابس التي صممها أشهر مصمم أزياء هي ما جذبتها إلى هذه المهمة، لا إغواء العمل في فلك هارلو، مهما علا شأنها.

هزّ جو هارلو رأسه

- لقد شاهدت تصاميمه، إنها مذهلة.

هل تعرف إليها؟ هذه النظرة المباشرة المعمعة كانت تحدق فيها حتى أحست برعشة ارتباك تسري في أوصالها. لا... لا... حتماً لم تظهر دليلاً يشير إلى تعرّفه إليها. ولهجته مهذبة، وكلماته حصافية.

تنفست سوكي الصعداء بصمت ثم أجبرت نفسها على الالتقاء بعينيه الرماديتين بنظرة مباشرة كنظرته. وقالت:

- أجل.. ثياب في منتهى الذوق والجمال... وهي حلم كل امرأة..

- ستزداد دون شك جمالاً عندما ترتدينها للعرض.

أخفضت سوكي عينيها.. رائع سيد هارلو.. أوه.. أجل.. لديه الكياسة الاجتماعية، وفي صوته الأجش المنخفض نبرة صادقة. ردّت:

- لا يصعب أن تظهر المرأة جميلة في تصاميم ديور لأنها تناسب كل امرأة. إنه يفهم بالفعل كيف يتعامل مع شكل الأنثى.

- لكنك لا تحتاجين إليها.

تغيرت نبرته بطريقة ماكرة فيما أصبحت عيناه حزينتين وهما تمران بها. لم تجد صعوبة في قراءة ما في أفكاره لأنها سبق أن شاهدت نظرات كهذه في عيون رجال عدة.. رأتها في عيني بيل كوين في لقائها الأول به. قال جو لها:

- سيبدو عليك دون ريب كيس قماش قديم وكأنه من تصميم باريس.

أراهن أنك تقول هذه الكلمات لكل امرأة تقابلها... وترها إطراؤه الجريء المتباين مع إطرائه الذي ذكره لها في آخر مرة شاهدها فيها، وتعسّر على قسمات وجهها أن تبدو هادئة ومبتسمة:

- أنت لا تشربين شيئاً. اسمحي لي.

ثم رفع يده، فظهر الساقي من لامكان يحمل صينية كؤوس. فقبلت منه العصير الذي قدمه لها بابتسامة حذرة.. توقعت بعد انتهاء واجباته الرسمية، أن يتحرك مبتعداً. ولكن ما أدهشها رغبته في البقاء.

- أخبريني إذن.. ما رأيك «بديامونت»؟

- أعجبني بشكل عام ما رأيت. علماً أنني لم أرَ إلا القليل منه: البهو الرئيسي وقاعة الطعام هذه.

كتمت أنفاسها عندما لاحظت أن جو قد ناور ليقف حاجزاً بينها وبين بقية العارضات. شكّل جسده الضخم حاجزاً قاطعاً بينها وبين صديقاتها وأحست ثانية بذات الإحساس المدغدغ في معدتها. فارتشفت قليلاً من العصير.

- ربما ترغبين في رؤية سائر أرجاء المكان؟

تمنت سوكي لو تقول: ليس معك. شكراً لك. ولكن مثل هذا الرد قد يفضح مشاعرها تجاهه فيدفعه الشك إلى لقائهما الذي مضى. فردت بأدب:

- ما أروع أن أرى التسهيلات التي تقدمونها هنا.. فلطالما وجدت غرف الفنادق مناسبة للرجال أكثر منها للنساء.. فإن أردت أن تقدم شيئاً للمرأة.. المرأة العاملة وما شابه يجب أن تقدم أشياء إضافية تروق لها.

- حقاً؟ حسناً.. ربما تتمكنين من إعطائي رأيك بما تقدمه هنا.

قبل أن تعرف ما ينوي، حمل كأس العصير من يدها، ووضعه على الطاولة، ثم التفت يده تحت مرفقها، واقتادها إلى الباب.

- الآن؟

لم تستطع كبح دهشتها، أو ارتعاشتها المتولدة من رؤية تحدٍّ متقد تحت بسمته.

- لا يوجد وقت أنسب من هذا.

- لكن.. ألن يفتقدوك؟

هز كتفيه دون اكتراث:

- لقد قمت بواجبي... وكنت مؤدباً مع الجميع لذا أرى أن لي الحق باستغلال وقت قصير لنفسي ثم هناك المدير وايتمود القادر على السيطرة على كافة الأمور هنا. وفي الحقيقة لولا كفاءته لما عينته.

كانت لمسة الغطرسة في صوته مألوفة، فقد كان حتى وهو في الخامسة والعشرين، حين التقته أول مرة، مالكاً ثقة بالنفس أشعرتها بأنها أمامه ساذجة خرقاء. ترددت لحظة... أتريد حقاً أن تكون وحدها معه؟ هذا ليس جزءاً من مخططها.. فهي لا تريد إلا رؤية ردة فعله.. ردة فعله الغريزية والعفوية لـ _ إلا.

ارتسمت بسمة رضى ساخرة على شفتيها حينما تذكرت كيف نظر إليها بإعجاب.. أوه.. أجل. لقد نظر إليها وكأنها مختلفة كل الاختلاف عن تلك المراهقة المضطربة المرتبكة التي صرف النظر

عنها بقسوة قبل سنوات عديدة.

ـ هل أنت قادمة.. إذن؟

زالت الابتسامة، وحلّ محلها عبوس غير واثق لأنها أدركت مصدومة، أن ردة فعل جو لم تكن كافية. فهي لم تخفف من لذع الذكريات القديمة. بل حرّكت الجرح، وفتحت الندبة تاركة إياه مفتوحاً أمام الألم من جديد... كانت قد أقنعت نفسها أن مجرد التأثير عليه يكفيها.. هذا ما فعلته بالضبط.. ولكن الآن...

نظرت إليه بسرعة، وجهه المتماسك لا يفضح شيئاً إلا الصبر في انتظار ردها. فأحست بالغضب يغلي في داخلها وكأنه حمم لاهبة حمراء في بركان متأجج، اضطرت معه إلى مقاومة اندفاعه إلى الخارج عبر كلمات غاضبة... وتسللت فكرة متجهمة إلى رأسها، فاشتد ضغط فمها بحزم وأدارت عينين خضراوين إليه:

ـ أجل أنا قادمة سيد هارلو.

التفت جو في باحة الاستقبال حول طاولة الاستقبال وسألها:

ـ أية غرفة؟ اختاري رقماً.

فكرت لحظة:

ـ الغرفة السابعة عشرة.

التفت ليلتقط المفتاح فسمحت لنفسها بالابتسام لأنه لن يعرف أبداً سبب اختيارها هذا الرقم بالذات. لقد كانت منذ تسع سنوات في السابعة عشرة، تلميذة مرتبكة خجول، ولكن جو هارلو حمل غرورها الهشّ، المعرض للغضب ورماه تحت قدميه بملاحظة واحدة خالية من الشفقة.

حين خرج جو من وراء الطاولة، كان المفتاح معلقاً على إصبعه..

كان البواب الذي جذبه الحديث والحركة في البهو ينظر

باستغراب إلى الداخل ولكنه لم يلبث أن رفع يده بتحية ذكية.

ـ هل لي أن أقدم مساعدة سيدي؟

ـ لا.. شكراً لك رون، سأري الآنسة باكس المكان.

هل يعرف اسماء موظفيه جميعاً؟ إن له والحال هذه ذاكرة ممتازة.

حملت هذه الفكرة معها إحساساً يشبه وخز الدبابيس والإبر في عروقها.. ماذا لو تذكر جو ذلك الصيف قبل تسع سنوات؟ لا... لو تذكر لظهر ما يدل على ذلك.. وهناك شيء آخر فهي في ذلك الحين كانت مختلفة، فشعرها الحريري ـ وراحت تمد يدها عليه بلا وعي ـ لا يبدو كذلك العرف المنسل المتجمد الذي حسبته وهي في السابعة عشرة أنيقاً. نظرت إلى وجه جو فرأت تقطيبة تغطي وجهه وتواب المصعد تنفتح.

ما الذي حمل هذا العبوس إلى وجهه؟

بدا لها جو في مساحة المقصورة الصغيرة أكبر حجماً... وأكثر قوة... على الرغم من طولها الذي يزيده طولاً كعب الحذاء العالي. شمّت رائحة ما بعد الحلاقة المسكية ممتزجة برائحة جسده فارتجفت متوترة تحس بالامتنان لأنهما لن يصعدا أكثر من طابق واحد.

ـ ها قد وصلنا.

ارتدّ إلى الوراء قليلاً ليسمح لها بالدخول قبله. فخرجت إلى الممر الصامت المغطى بالسجاد. وتوجهت على غير استعجال إلى باب عليه الرقم سبع عشرة.

توقعت سوكي بعد أناقة البهو وروعة قاعة الطعام أن تكون غرف الفندق جذابة مريحة، وقد وجدت أن هذه الغرفة عند حسن ظنها فعلاً. فلها نوافذ ضخمة تدخل إليها النور، وفيها أريكة مريحة

المنظر، ومقعدين مركزين أمام جهاز تلفزيون جديد وخزانة ملابس مزدوجة، وطاولة زينة، وسرير ملوكي الحجم مغطى كله بغطاء من القماش المطرز ذي الألوان الوردية والفيروزية وهي ألوان وجدت لها امتداداً في ألوان الستائر والسجاد.

ـ حسناً؟

ـ لطيفة جداً.

أبقت سوكي لهجتها طبيعية بجهد.. فقد آلمها فجأة واقع وجودها وحدها مع هذا الرجل وسط هذا المحيط الحميم في غرفة نوم. كان كل ما حولها هادئاً صامتاً لا يقطعه شيء، فأصوات زمامير سيارات المدينة يصمتها بقوة وفعالية زجاج مزدوج، وكذلك الحال بالنسبة لأنغام الموسيقى المنبثقة من الحفلة في الطابق السفلي.

ـ أود رؤية أكثر من هذه الغرفة.. لو سمحت.

أرسل ارتفاع حاجبه بخفة الغضب إليها. وكأن جو هارلو لم يصدق أن الهدف من مجيئها إلى هذه الغرفة تأملها ورؤيتها فقط، بل وكأنه يظن أنها استخدمت هذه الحجة لتكون على انفراد معه...

تشوقت يدها لمسح هذه النظرة الساخرة المشبعة بالشك عن وجهه الوسيم.. ولكنه شلّ حركتها بتمتمة:

ـ تفضلي.. بكل سرور.

أسند نفسه إلى الجدار وذراعاه معقودتان على صدره، ثم لم يلبث أن عادت إليه نظرة الاستسلام للأمر الواقع وكأنه يقول: حسناً سنلعب اللعبة على طريقتك إن أردتِ المثابرة على هذا الادّعاء، فلا مانع لديّ، سأنتظر.. إذن ستنتظر حتى تتجمد النار سيد هارلو! وما أشدّ ما يكون عليه سروري عندما سأطيل الإمعان والتمحيص

وأنا أنتقل إلى غرفة أخرى. كانت تشعر بالرضى وهي ترى أن عينيه الساخرتين، قد مسهما الآن عدم تصديق صريح، فراحتا تلمعان كلما فتحت دُرجاً من أدراج الخزانة أو كلما نظرت إلى شيء ما.

عندما دخلت إلى الحمام الملحق بغرفة النوم لاحظت بسرعة تلك اللمسات الصغيرة التي ترفع مستوى هذه الغرفة من غرفة عملية إلى غرفة مريحة... مناشف ومباذل حمام سميكة ناعمة معلقة وراء الباب وهي فيروزية اللون أيضاً وهناك أنواع عدة من الشامبو والكريمات المنعمة للشعر، إضافة إلى أكياس صغيرة تحتوي على أغطية للشعر يمكن التخلص منها برميها في سلة مهملات أنيقة قرب المغسلة. بعد ذلك عادت سوكي إلى غرفة النوم، فأجالت بصرها فيها مرة أخرى فرأت صناديق مناديل ورقية، وإبريقاً كهربائياً، وهناك بضع زجاجات مياه معدنية على الطاولة وهي جميعها في أكياس تحمل اسم فنادق هارلو.

هزّت رأسها أخيراً هزة رضى.

ـ لقد فكرتم في كل شيء تقريباً.

ردّ جو:

ـ تقريباً.. كل شيء؟

ابتلعت سوكي بصعوبة بسمة انتصار.. فهو لم يتوقع منها أن تتكلم بهذه الجدية. قالت:

ـ ماذا عن مجفف الشعر... أو ماكنة الحلاقة الكهربائية للرجال؟

ـ هذا كله موجود عند مديرة المنزل.. وهناك من يقوم بكيّ الثياب أو بالاختصار ليس على النزيل إلا أن يطلب... راضية؟

كانت أكثر من راضية، بل متأثرة. لكنها لم تكن تريد إظهار تأثرها، فثمة لمسة سخرية شيطانية في صوته أثارت أعصابها، فهو

لا يزال يعتقد أن تأمل الغرفة ما هو إلا واجهة أو طريقة للعب لعبة صعبة المنال فترة أطول. وهي مصممة على إزالة وهمه في هذا المجال.

ـ كنت أود أن أرى المزيد من مشاجب الثياب. فالفنادق لا تقدم منها الكثير. كما كان يجب أن يكون هناك مشاجب أكثر للتنانير والسراويل.

ـ سأشرف بنفسي على تحقيق هذا!

ما عاد في صوته الآن تسلية بل حزماً قاطعاً جعلها ترى بوضوح أنه سيدقق على تعليقاتها بأسرع وقت ممكن. كان من العسير ألا تشعر بالانتصار على الطريقة الجادة التي حمل فيها رأيها. وما حز في نفسها أنه هو نفسه لم يصغ إليها في صغرها بجدية. تلك الذكرى المريرة جعلت صوتها جافاً متكبراً:

ـ حسناً. لقد شاهدت ما أريد.. والآن أظن أن أوان العودة إلى الحفلة قد أزف.

أبعد نفسه ببطء عن الجدار:

ـ أهذا حقاً ما تريدين؟

لم تشأ أن تسمح لكلامه المعسول إمالة قلبها خاصة وهي تعلم أن له لساناً متحذلقاً ناعماً، وسحراً مثيراً.

ـ ألا تظن أن عليك العودة إلى ضيوفك؟ كما عليَّ الذهاب..

ـ بهذه السرعة؟ الساعة لم تكد تبلغ العاشرة.

ـ أنا فتاة عاملة سيد هارلو تحتاج إلى النوم. فإن لم أنم ثماني ساعات كاملة، ظهر الأمر في صورتي. لذا تراني دائماً في منتصف الليل في فراشي.

ـ دائماً؟

ما الذي أعاد السخرية إلى صوته؟ ما يومي به السؤال جعلها

تضحك فردت بحزم:

ـ دائماً.. وحدي!

تظاهر بالبراءة:

ـ وهل قلت عكس ذلك؟

لا.. لم يقل شيئاً، بل أوحى به وجهه ولمعان عينيه، وهذا ما شاهدته غالباً على وجوه رجال عدة كانوا يفترضون أن عارضة الأزياء ليست سوى وجه جميل لا دماغ وراءه.. فتاة متاحة لأي كان. حسناً لكنك لن تجد هذا عند هذه العارضة الواقفة أمامك سيد هارلو. سيطرت على غضبها بجهد وقالت:

ـ أود العودة إلى الأسفل ولكنني قبل ذلك أريد أن أشكرك لمنحك لي فرصة رؤية الغرف سيد هارلو.

ـ لقد أسرتني ما فعلت. بالمناسبة اسمي جو.

أعرف هذا وكادت الكلمة تنساب من فمها.. ليته يعرف إلى أي حد تتذكر اسمه. فلقد أثر اسم جو في حياتها وترك بصماته قالباً كل شيء رأساً على عقب في بضع ساعات قصيرة.

صدمتها ابتسامته حين وقف، وقف إلى جانبها، رافعاً يده ليمرر أطراف أصابعه على جانب وجهها. كانت رقة لمسته تحرقها، فانتفضت متراجعة، ولكن بسمته لم تتغير بل راحت يده تنتقل إلى كتفها فشعرت بحرارتها من فوق قماش سترتها. تمتم بصوت أجش:

ـ أيجب أن تعودي إلى الأسفل؟

كان لنبرة الإغواء في صوته القدرة على إدارة رأس امرأة سهلة الانخداع ولكن سوكي شفيت منذ زمن بعيد من مرض لسانه المعسول، أو أخذ كلامه على محمل الجد... أردف:

ـ فكرت أن نقيم حفلة خاصة بنا..

بدأنا الآن نصل إلى الجوهر، إلى السبب الحقيقي لاصطحابها إلى هذه الغرف. تذكرت تلك النظرة التي كانت على وجهه قبل دقائق فتاقت للاحساس بتأثير راحة يدها على هذا الوجه المبتسم الوسيم.

ولكنها ردت بصوت مرتفع حاد:

- هنا؟

اعتلت وجهه تقطيبة سرعان ما تبددت:

- أينما شئت. أصطحبك إلى البيت إن كنت تفضلين أو...

لم تتركه ينهي كلامه.

- بل أفضل العودة إلى الحفلة. فهناك أصدقائي الذين يتساءلون أين ذهبت.

عادت السخرية إلى عينيه:

- أيجب أن تقدمي إليهم تقريراً عن كل تحركاتك؟

- لا حاجة لي إلى ذلك! المسألة مسألة أدب ولباقة. جئت برفقتهم...

ما تزال يده على كتفها، وعليها أن تجبر نفسها على عدم التلوي بحدة للخلاص منه.. فهي لم تخطط إلى هذا النفور.. لكنها في الواقع لم تضع خطة ثابتة. كل ما كان في رأسها فكرة بسيطة تدفعها إلى إثارة اهتمامه وإلى جعله ينظر إليها على أنها شخصية مختلفة عن روزي بلاك، ابنة السابعة عشرة.

- لماذا إصرارك على العودة إلى تلك الحفلة المتعبة؟

بدا للمرة الأولى الانزعاج في صوته، فأحست بشعلة انتصار تتقد في نفسها لتعيد إليها الثقة بالنفس، والهدوء ورباطة الجأش أردف قائلاً:

- أقسم أنك لم تكوني أكثر مني تمتعاً.

- بل لقد لاحظ قلقها ولكن، ولله الحمد، عزا الأمر إلى سبب مختلف.

- إنها حفلة عامة.. جزء من عملي.. وعلي...

تسمرت الكلمات في فمها من جرّاء النظرة المطلة في عيني جو. وأحست بشرتها تحترق من اللون الأحمر الذي غزا وجهها. فلمعان عينيه لم يترك في نفسها شكاً بشأن نواياه.. سيغازلها أو يعانقها. فزحف التوتر إلى نفسها، وجفت شفتاها.

ولكنها سرعان ما لملمت قوتها. فهذا ليس بجديد عليها. لقد شهدت العديد من هذه المواقف حتى باتت تعرف السبيل إلى التعامل معها. كانت سوكي الصغيرة ستذعر، أو تصيح باحتجاجات سخيفة ولكنها لم تعد في السابعة عشرة.

أدارت وجهها بعيداً عنه بعيداً، ثم أرجعت ظهرها إلى الوراء بحيث لم تستطع ذراعاه اللتان أطبقتا عليها إلا أن تلامسا خصرها فقط.. هنأت نفسها على الحركة التي بدت طبيعية وكأنما تحركت بشكل طبيعي دون أن تدرك نيته أو دون أن تخطط لتفادي العناق.

أمام الباب، التفتت تنظر إلى الرجل الواقف في منتصف الغرفة.. أهو الغضب الذي قلب عينيه الرماديتين إلى الأسود الكهرماني؟

التقت نظرتها المشبعة بالتحدي بنظرته الباردة المتمعنة. قالت ببرود هادىء:

- علينا على ما أرى العودة إلى الحفلة.

خرجت من الغرفة دون أن تترك له بديلاً غير تعقبها.

تبعها جو فرآها تضغط على زر المصعد تطلبه ولكن يده أطبقت على يدها تديرها إليه وقبل أن تجد وقتاً للاعتراض جذبها يلصقها إليه بقوة أرسلت أحاسيس غريبة جعلتها لبعض الوقت عاجزة عن

المقاومة. ولكن هذه اللحظات كانت أكثر من كافية ليفعل جو ما يريد. فقد عانقها معانقة كاملة كانت قد حرمته إياها قبل لحظات. وعندما وصل المصعد وفُتحت أبوابه، تركها مرتداً عنها وابتسامة نصر تعلو وجهه وانحناءة ساخرة تشير إليها أن تقدميني...

ـ الآن ننضم إلى الحفلة.

وقفا بصمت متجمّد صخري فيما المصعد ينقلهما إلى الأسفل.

* * *

٢ ـ أصابع الانتقام

توقف التاكسي أمام الفندق، فتقدم البوّاب رون ليفتح الباب، ممسكاً مظلة تقيه من المطر، الذي انهمر عقب انتهاء الحفلة مباشرة. وقد نقل تحت ظلها ميللي، أنجيلا، ورودا إلى السيارة المنتظرة. كانت سوكي على وشك اللحاق بهن حين أمسكت يد قوية مرفقها مانعة إياها عن الحركة. قال لها جو هارلو بصوت حازم:

ـ سأقلّ الآنسة باكس بنفسي إلى منزلها رون.

أوه... لا... لن تفعل... غلت الكلمات في داخلها لكنها كبحتها على عجل، لأنها لا تريد افتعال فضيحة علنية على درج بيلموت حيث ضيوف الحفلة المنتظرون سياراتهم شهود... قالت بهدوء:

ـ أفضّل الذهاب مع صديقاتي!

لكن كلماتها ضاعت وسط هدير سيارة صُفق بابها. كانت شاهدت تحت ضوء مصابيح الشارع وجه ميللي الصغير يحدق فيها بعينين يوسعهما فضول غير خفي. قالت متوترة: «لا أحتاج إلى من يقلني فوكيلك السيد موريس قام بهذا الترتيب.»

قاطعها بنعومة:

ـ وأنا ألغيها. أظنك ستكونين مستريحة في سيارتي حيث لن

تُحشري بين ثلاثة نسوة.. أضيفي إلى هذا أنك تعيشين في طرف المدينة الآخر بعيداً عن الفتيات الآخريات. فإن اصطحبتك وصلت إلى منزلك بسرعة.

كيف عرف هذا كله؟ هناك همفري موريس وهو يعرف موقع مسكنها لأنه أرسل سيارة الأجرة لتقلها إلى الفندق.. لكن من غير المحتمل أن يبوح بهذه المعلومات بطريقة عفوية، وهذا يعني أن جو قد سأله سؤالاً مباشراً.

قال جو فيما كان أحد موظفي الفندق يقود الكاديلاك السوداء الأنيقة:

ـ هذه هي السيارة.

فتح لها الباب ثم ارتدّ منتظراً أما هي فترددت لأنها لا تريد أن تكون معه في عزلة في السيارة.. ولكن لا خيار لها على ما يبدو.. فلم تكن واثقة من ردة فعله لو رفضت الصعود إليها، علماً أنها تشك أن تكون ردة فعله المتوقعة مما تخاطر برؤيته... أفٌ لك جو هارلو! رفعت رأسها ثم تقدمت.

علّق جو بالقول وهو يقود السيارة في الشارع المظلم:

ـ إنها ليلة خريفية لن تجدي فيها امرأة ترفض أن يقلها أحد إلى بيتها.

ـ سبق أن قلت لك إن وسيلة النقل مؤمنة.

ـ ولكنني قلت لك، إن الأفضل أن أقلك بنفسي.. أنا لست مغتصباً آنسة باكس، أو مختطفاً يبغي بيعك في سوق الرقيق... فلماذا لا تستريحين إذن ممتعة نفسك بالرحلة؟

جعلتها سخرية صوته تنتبه لكيفية جلوسها المتوتر في السيارة، فقد كانت تقبض على حقيبتها الصغيرة بقوة. دفعت نفسها بجهد للاستناد إلى ظهر المقعد، ولكنها أحست أن هذه الحركة قرّبتها منه

حتى كاد كتفها يلتصق بكتفه. قالت بحدة:

ـ أنت لست رجلاً يحاول فهم التلميحات؟

سمعته يقهقه بسخرية مكتومة:

ـ بل أفهم التلميحات جيداً إلا أنني في بعض الأحيان أجد أن تجاهلها يناسبني.

ـ والليلة أحد تلك الأحايين؟

ـ هذا صحيح.

ـ أتمانع لو سألتك لماذا؟

ـ أبداً. ولكنك دون شك تستطيعين التكهن.

ـ ليس لدي فكرة عن مقصدك.

ضحك ثانية:

ـ أوه. هيا الآن سوكي.. أنت امرأة جميلة خلاّبة وهذا ما تعرفينه جيداً، وإلا لما كنت في عملك هذا... كما أنك لست بريئة ساذجة خرجت لتوّها من المدرسة وهذا يعني أنك تعرفين متى يكون الرجل مهتماً.

ـ وأنت.. مهتم؟

ـ وما رأيك؟

ـ رأيي أنك رجل متعجرف تظن أنك محور الدنيا، وتأبى قبول الرفض.

ـ قد أقبل إذا أردتُ. غير أنني لا أريد هذا بل أريد أن أتعرّف إليك.

ساد صمت مباغت حينما أمعنت دراسة هذه الملاحظة.. فالأمور تسير بسرعة كبيرة بالنسبة لها وهي غير واثقة من الطريقة التي تسير فيها.. كانت تخطط إلى أن تظهر له فتاة مختلفة عن تلك التي سخر منها في الماضي.. ولكنها لم تفكر أن يظهر لها هذا

الاهتمام كله.

ـ وماذا إن كنت أرفض التعرّف إليك؟

ـ إنه حكم متسرع.. فهل كنت فظاً معك؟ أقمت بما أغضبك؟

ما أغضبها أنه أراد أن يعانق سوكي باكس، فيما لم يفكر لحظة في أن يعانق روزي بلاك.

امتلأ فمها بطعم مرير وهي تتذكر الليالي التي ناقت فيها إلى عناق كهذا... فحاولت جاهدة إبقاء صوتها هادئاً متعقلاً:

ـ اسمع.. ألا يمكنك تقبل عدم انجذابي إليك؟ هذا يحدث دائماً.

ـ لو أعطيتني سبباً معقولاً لفكرت في المسألة.

تعطيه سبباً.. دار رأسها وهي تفكر.. ليس هناك تفسير تقدمه ولكنها روزي بلاك، أو بالأحرى كانت روزي بلاك حين عرفها يوماً.. أما الآن ولأسباب غير واضحة لها تريد ألا يعرف هيكلها.

قال جو:

ـ اسمعي.. لا أطلب منك إلا أن تقابليني ثانية.. أمسية واحدة نمضيها معاً.. أهذا كثير؟

ـ لا..

تكوّنت فكرة أخرى في ذهنها.. ففي مطلع السهرة، أقرت بأن اهتمامه بها لن يشبعها... خاصة وأن في أعماقها كانت تحس بالألم الذي شعرت به روزي ابنة السابعة عشرة. وتشعر بالدمار الوحشي الذي دمّر ثقتها بنفسها وملأ قلبها مرارة وغضباً.

ـ ها قد وصلنا.. ستدريلا.. إلى منزلك. إنما لا ترتاعي فما زال هناك نصف ساعة حتى منتصف الليل.

نظرت إلى ما حولها دهشة. فقد غرقت في أفكارها بحيث لم تنتبه إلى ولوجهما الشارع الذي تسكن فيه... فها هي السيارة تقف

أمام المبنى القاطنة فيه وها هي تدرك أن الوقت قد حان لاتخاذ قرار... عليها اتخاذ قرار؟.. ولكن أية طريق تسلك؟ أطفأ هو المحرك والتفت إليها:

ـ سوكي..

جعلها ذكر اسمها تنتفض فهي لم تأذن له باستخدامه ولم تقم بما قد يشجعه على مناداتها بهذه الألفة.. لقد ناداها باسمها الأول وكأنهما صديقان أو أكثر من صديقين. وهذا ليس غريباً على رجل متعجرف مثله يحسب أن النساء جميعهن خاضعات لسحره منجذبات للونه الأسمر الرائع. حسناً.. ستكون سعيدة بشدّ البساط من تحت قدميه.. قالت بحذر:

ـ أمسية ما؟

رد ساخراً وهو يرى أنها تلعب معه لعبة المرأة الصعبة المنال.

ـ ظننت أن بإمكاننا تناول العشاء معاً بعد حفلة عرض الأزياء غداً... فهل سيناسبك هذا؟

ـ أجل.. سأكون حرة.

أنت كلماتها بطيئة لأنها ما زالت تدرس الموضوع. هل ستتمكن من المضي في هذا؟ أتريد المضي حقاً؟ أقنعتها بالقبول نظرة أخرى إلى هذا الوجه المتعجرف، الذي تذكره منذ مراهقتها، الوجه الذي بدّد أحلامها بكلمات قليلة غير مبالية... ستتمتع ملتذة برؤية هذا الرجل يهوي من عليائه، فهو دون ريب يظن أن ما من امرأة تستطيع مقاومته.. ولكنها ستدفعه إلى إعادة التفكير في قدرته ثانية.

بماذا دعاها؟ ستدريلا؟ ربما هذا يناسبها بطريقة ما... فهي دون شك تحولت من المراهقة التي يعرفها، كما تغيرت ستدريلا بقوة عرّابتها الساحرة.. إنما لم يكن عندها زوجة أب شريرة وبنات

أشرّ منها، بل كان هناك زوج أم أبعد ما يكون عن الشر بل هو اللطف عينه والرقة ذاتها.. كانت تنظر إلى جو المترقب ردّها فقالت:

ـ حسناً.. غداً على العشاء.

التمعت بسمة مدمرة على وجهه.

ـ سأحضر العرض، ثم أصطحبك بعد الحفل مباشرة. فلنقل في التاسعة والنصف؟

ـ يناسبني هذا.. عليّ الآن الذهاب.

عندما كانت تكبس على زر حزام الأمان انحنى إليها ونواياه واضحة وضوحها في غرفة الفندق، ولكنها أسرعت تردّ رأسها إلى الوراء تجنباً لعناقه، رافعة يدها إلى وجهه فطالعتها نظرة في وجهه فهمت منها عدم رضاه عن هذه الحركة. أمسك يدها بهدوء وقال بنعومة:

ـ عمت مساءً سوكي.. سأراك غداً.

ثم قلب يدها طابعاً قبلة حارة على راحة يدها.

ـ حتى الغد إذن... أوه.. سوكي.. اسمي جو.. تذكري.

تتذكر! وكيف لها أن تنسى! تمنت والسيارة تبتعد لو تصيح بالكلمات.. أنها لم تنسَ هذا الاسم بعد سنوات تسع طويلة، ومن المستحيل أن تنساه اليوم.

رمت الأغطية عن نفسها في الصباح التالي، وهو يوم سبت ليس عندها فيه إلا العرض في المساء، ونزلت من السرير.

لم تمضِ دقائق حتى كانت ترتدي ثوب رقص ضيق، أسرعت على أثر ارتدائه إلى غرفة الجلوس الصغيرة تدفع الأريكة والمقاعد بعيداً ثم تختار شريط تسجيل تضعه في الآلة.. فكان أن أخضعت نفسها إلى تمارين مرهقة مدة ساعة مستخدمة كل عضلة في جسدها

إلى أقصى مداها وقدرتها، دافعة نفسها إلى أقسى مما اعتادته، حتى في تلك الأيام التي صممت فيها على تنقيص ما وسعها من وزنها.. وحين انتهى الشريط أعادت تشغيله من جديد، ولم تتوقف إلا عندما سمعت قرعاً على الباب علمت من يكون دون أن تسأل.

ـ ادخلي آنيت! الباب غير موصد.

ابتسمت ترحيباً بالجارة آنيت ديربي وهي امرأة في الحادية والثلاثين من عمرها، أكبر من سوكي بخمس سنوات كانت قد أصبحت صديقتها منذ أن سكنت في الشقة التي تحت شقتها مباشرة أي قبل أربع سنوات وقد حدثت هذه الصداقة حينما دعتها يوماً إلى فنجان قهوة ومنذ ذلك الحين وصداقتهما تتعمق أكثر وأكثر.

صاحت آنيت:

ـ ترهقين نفسك في هذا الوقت من يوم السبت.. سوكي، حبيبتي أنت رهيبة!

تحركت توقف المسجلة:

ـ وهل أزعجتك؟

هزت آنيت رأسها فتحركت الغرّة الملتهبة الحمراء على وجنتيها وتطايرت:

ـ لا مجال لإزعاجي حبي.. كنت أتعشى في الخارج ليلة أمس ولم أنم قبل الثانية.. كان بإمكانك تهديم المنزل وقلبه رأساً على عقب دون أن توقظيني... لقد استيقظت الآن.

ـ أتناولت الفطور؟ قد...

ـ لا.. لا تعرضي عليّ شيئاً... شكراً... لقد تناولت طعاماً مشبعاً بالحراريات ليلة أمس، وها أنا صائمة سعياً إلى خسارة تلك الحراريات.

ابتسمت بحزن ثم نظرت إلى جسد سوكي الرياضي النحيل:

ـ أما أنت، فلا بأس عليك أن تأكلي ما تشائين.

ابتسمت سوكي:

ـ أوه آنيت.. تعرفين أن هذا غير صحيح... ولقد رأيت الدليل بأم عينك.

ثم وجهت بصرها إلى المطبخ حيث الخزانة... كانت آنيت تضع صور سيدات جميلات نحيلات على باب البراد وعلى خزانة الطعام لتذكرها بما يجب أن تكون عليه... أما سوكي فكانت تضع صورتها وهي في السابعة عشرة لتذكرها بما يجب ألا تكون عليه، وكانت تبعث نظرة واحدة إليها القدرة على تحطيم أية رغبة لها بالطعام، وعلى شدّها إلى الطريق المستقيم الضيق.

فقالت آنيت:

ـ أوه سوكي.. كفى رجاءً! فما عدتِ كما كنت قبل سنوات... ولكنني لم آتِ إلى منزلك بحثاً عن الحمية..

تقلصت معدة سوكي ترقباً للسؤال.

ـ أموت فضولاً لأعرف كيف وصلت ليلة أمس.. هل قابلت حقاً «جو هارلو» السيء السمعة؟ وماذا حدث؟

ترددت سوكي قليلاً ثم قررت أن تقول كل شيء بصراحة، فآنيت ستعرف إن كذبت عليها.

ـ سأتعشى معه الليلة.

كان الذهول ردة فعل آنيت:

ـ ماذا؟ لكنني ظننت أن الفكرة...

ـ أعرف ما كنت أخطط.. ولكنها لم تسر كما خططت.

كيف لها أن تشرح الأمر؟ فقد أمضت وقتاً طويلاً ليلة أمس قبل أن تنام تتساءل كيف سمحت لنفسها القبول برؤيته ثانية.. وما زالت لا تصدق أنها قبلت.

ـ أما زال كما تتذكرينه؟

ـ ما زال على حاله، بهيّ الطلعة، متعجرفاً، أنانياً..

ـ إذن لماذا تقابلينه مرة أخرى؟

تنهدت دافعة أناملها إلى شعرها الأسود الحريري:

ـ لا أعرف في الواقع. كنت أريد أن أنفذ ما خططت له فقد أردتُ أن ألفت انتباهه فيراني مختلفة عن تلك المراهقة التي كنتها حين شاهدني في الماضي... ثم عرفت أن هذا غير كافٍ.. لقد آلمني آنيت.. فأردت أن أرد له الألم.. ليعلم بما يشعر به المرء حين يتحطم تحطماً لن يُشفى بعده أبداً.

ـ ماذا ستفعلين إذن؟

كانت ابتسامة سوكي قاسية:

ـ سأخرج معه عدة مرات... ليتعلّق بي، ولكنني سأتركه معلقاً بين الأرض والسماء حتى أتركه أخيراً ينكبُّ على وجهه. أتوافقينني الرأي؟

ـ ليس شأني أن أوافق أو أرفض حبيبتي.. إنما هل يستحق الأمر نبش الماضي ثانية.. نعم أخبرتني عن نذالته ولكن هذا كان منذ زمن بعيد..

اعترفت سوكي بصحة ما تقوله آنيت إنما ليلة أمس عادت الذكرى إلى نفسها أليمة، فشعرت معها من جديد بأنها ما تزال عرضة للخطر كابنة السابعة عشرة المراهقة. طافت صورة وجه جو الوسيم أمام عيني أفكارها فرأت من جديد النظرة المقوّمة التي رمقها بها، واللمعان الذي أضاء عينيه الرماديتين العميقتين.. كانت قد شاهدت هذه النظرة في عيون رجال عدة أمثال بيل كوين، وهم ينظرون إلى النساء على أنهن ألعاب مزخرفة يستخدمونهن ثم يرمونهن... قالت لآنيت:

ـ لا يتعلق الأمر بالماضي فقط آنيت.. بل بالطريقة التي تصرف بها معي ليلة أمس.. لقد كان بيل آخر.

ـ آه.. إنما لا يعقل أن تلومي جو هارلو على المعاملة التي عاملك بها بيل.

كانت تعرف قصة بيل كوين، الذي جذبه بريق مهنة سوكي فسعى إليها، وهو يحسبها هدفاً سهلاً وقد حدث أن تركها ببرود ما إن أوضحت له عدم قبولها بما يريد بكل بساطة... ردت سوكي:

ـ لا.. ولكن معرفتي ببيل علمتني الكثير حتى بتُّ قادرة على التعرف إلى أمثاله ما إن أرى أحدهم. وجو هارلو.. هو نسخة طبق الأصل عن بيل كوين. في ذاك الحين كنت صغيرة فلم أستطع التعامل مع بيل الذي آلمني ما فعل بي كثيراً. ولكن الأمور اختلفت الآن.. فسيكتشف جو هارلو إلى أي حد اختلفت الأمور!

ـ إذن أنت مصممة على المضيّ بخطتك؟

هزت سوكي رأسها بثبات:

ـ رجال كهؤلاء يعتبروننا أهدافاً آنيت.. فما نحن بالنسبة لهم إلا وجوه جميلة وأجساد جذّابة.

أشارت بملاحظتها هذه إلى طلاق آنيت الذي كان المسبب الرئيسي للسكن في المبنى نفسه قبل أربع سنوات:

ـ لن أقوم إلا بقلب الطاولات في وجه أحدهم، مستخدمة جو هارلو كما يحب أن يستخدمني.

ـ إنه قرارك عزيزتي.. ولكن كوني حذرة.. قد يرتد الانتقام على صاحبه، مغيراً وجهته إليك فيؤلمك.

* * *

٣ ـ الحلم البعيد

«قد يرتدّ الانتقام على صاحبه» ترددت كلمات آنيت في رأس سوكي مراراً ومراراً عندما كانت مذعنة ليدي مصفف الشعر والمزين، قبل بدء العرض. كانت تفضل لو تضع المساحيق بنفسها لأنها باتت محترفة في هذا المضمار أو على الأقل كان ذلك سيشغل بالها، ويمنعها من التفكير في السهرة الموعودة بعد انتهاء العرض، وهذا ما كانت تعيد النظر فيه بشدة.

رمت بتصميم أفكارها بعيداً واتجهت إلى صف المشاجب التي تحمل ثياب العرض فرتبتها بعناية.

شعرت بالروتين ما إن أمسكت يدها قماش الفستان الأول الذي ستقوم بعرضه... وهذا الروتين أصبح لها كالتنفس..

سارت فوق ممر العرض بخطوات رشيقة. شامخة الرأس متحفظة الوجه غير مبتسمة. كانت تجيد عملها خير إجادة، تعرض الملابس التي قصد الناس رؤيتها باحتراف وفن.

مضى نصف الاستعراض قبل أن تشاهد جو الذي كان يستند إلى الجدار في زاوية الغرفة، عاقداً ذراعيه على صدره فيما عيناه السوداوان مستقرتان عليها، وكأن نظرته تخترق قماش الملابس التي تعرضها، حتى توشك أن ترى روزي بلاك المراهقة، مدفونة في أعماقها.

بعد ذلك راحت تتجنب بحذر توجيه نظرها إليه، ولكن ذلك لم يمنعها من الاحساس الغريب بصمته وبحضوره المراقب، وحين قامت بعرض الثوب الأخير المصنوع من الكتان الرقيق الأحمر القرمزي الكاشف ذراعيها وكتفيها، راحت بشرتها تحترق لدنوّ لقائها به.

ثم انتهى العرض، فاحتضرت الموسيقى، وغاصت سوكي في كرسيها تتنهد براحة.

ـ أين سوكي؟

بلغ مسمعيها صوت المزين الذي أضاف:

ـ أوه... ها أنت. لديّ رسالة لك. جويل هارلو أتى ليراك. ولكنني قلت له إنك لم تغيري ملابسك بعد.. فطلب مني أن أقول لك إنه ينتظرك في المقصف.

ـ شكراً لك جورج.

إذن، لقد حان الوقت لمواجهة القرار الذي كانت تتجنبه طوال الأمسية. هل ستتابع خطتها أم لا؟

عندما اجتازت بهو الاستقبال في طريقها إلى المقصف كانت ما تزال على حيرتها، لذا تباطأت خطواتها وما إن اقتربت من الأبواب الزجاجية، حتى وقفت فجأة فقد لاح لها طيف مألوف على بعد أمتار منها. كان ظهره إليها بحيث لم يع مراقبتها له وإمعانها فيه. ما أسهل أن تجد عاملاً تطلب منه نقل رسالة له تفيد أنها قد عدلت عن رأيها، فلن ترافقه للعشاء إلا أن هذا تصرفاً جباناً قد تظهره روزي، أما سوكي فمصنوعة من مادة صلبة، وهي مدينة لنفسها برمي الدعوة في وجهه.

شعرت فجأة بأفكارها تحملها بعيداً بعيداً حتى توارى كل ما يُحدِق بها، وعادت مرة أخرى ابنة السابعة عشرة التي تعيش مع أمها

وزوج أمها.

كانت في العاشرة عندما التقت أمها بمورغان بلاك، الأرمل الذي كان عنده ولد يكبرها بسبع سنين، وكانت أمها قد ترملت قبل أربع سنوات من جرّاء إصابة زوجها بنوبة قلبية قضت عليه.

بعد زواج أمها لم تجد صعوبة تذكر في التأقلم مع العائلة الجديدة، خاصة وأن مورغان هو اللطف عينه وقد تبناها واعتبرها ابنته، أما لويس فسرعان ما أصبح الأخ الأكبر المحب الذي تمنت دائماً أن يكون لها.

كان مرحاً يتحمل برحابة صدر ابنة العاشرة التي ما فتئت تطارده أينما حلّ حتى تمنت لو تكون مثله، وقد دفعتها رغبتها هذه إلى أن تصبح نوعاً من الفتيات المسترجلات.

كان لويس هو من أطلق عليها اسم روزي الذي استلهمه من وجهها الوردي دائماً. وهو اسم أبهج سوكي كثيراً حتى أصرّت على أن يستخدمه أفراد العائلة، والواقع أن العائلة ـ على الرغم من استخدامها اسم سوكي حالياً ـ تدعوها روزي.

كان لويس الذي عمل في ذاك الوقت في فيلادلفيا، قد التقى بجو في حفلة وقد نشأت بينهما صداقة منذ البداية. وقد حدث وهو يقوم بزيارته العادية إلى المنزل أن راح يقصُّ على العائلة قصصاً عن صديقه الجديد، وعن سلسلة الفنادق الصغيرة التي ورثها عن أبيه، فكان المحتم في النهاية أن يقترح مورغان وأمها على لويس دعوة جو لزيارتهما.

ما زالت سوكي تتذكر عندما وقع بصرها على وجه جو الوسيم في صور عرضها عليهم لويس، مشيراً إليه بالقول:

ـ هذا هو جو.. ما رأيك به روزي؟

حدّقت سوكي بوجهه وهي لا تكاد تصدق عينيها... فقد

كانت في تلك الفترة تخرج من شرنقة الاسترجال إلى الإحساس بأنوثتها، وقد بدأت تستحسن الجاذبية في الجنس الآخر. إنما تلك المشاعر كانت وقفاً على نجوم الغناء.. الذين تملأ صورهم جدران غرفة نومها.. أو على غرام محرج مؤلم لفتى من فتيان المدرسة الأكبر منها سناً. ولكن ما إن وقع بصرها على وجه جو الوسيم المرتدي سروالاً ضيقاً من الجينز، وتي شيرت، حتى تلاشت تلك المشاعر البريئة وغرقت في غرام حقيقي لأول مرة في حياتها... في ذلك الحين غدا جو هارلو تجسيداً لأحلامها وخيالاً أصبح حقيقة، أولعت به ولعاً شديداً على الرغم من عدم رؤيته شخصياً.

كانت هذه الذكريات تؤلمها ولكنها لم تكن تستطيع نكران صحتها، حتى ولو أرادت.. كانت يومذاك أطول من معظم الفتيات في مثل عمرها وهي مشكلة مزدوجة لأنها في الوقت ذاته كانت تزيد عن أترابها بما لا يقل عن اثني عشر كيلوغراماً في الوزن. ولكن هذا الأمر لم يكن يزعجها في ذاك الوقت خاصة وأن السروال الواسع والكنزة المترهلة كانا اللباس المفضل لديها... لكنها بعد ذلك أرادت أن تكون كتنات صفها، فسعت إلى ارتداء ثياب تحمل طابع الأنوثة، فصدمها الواقع فقد وجدت أن تلك الملابس صُنعت لمن هنَّ أنحف منها.

مع دنوّ موعد زيارة جو، غاصت سوكي في عمق يأس أسود.. فالثوب الأزرق الذي اشترته لها أمها في ساعة يأس، لم يكن ما حلمت به، فقد بدا في عينيها كخيمة مستديرة واسعة. فقالت لأمها عابسة:

ـ لا أريد الثوب الأزرق.. أريد شيئاً مميزاً كالذي ترتديه أديث.

حالما نطقت اسم الفتاة الأخرى عنت لها فكرة أديث فاول،

رفيقتها في المدرسة والصف، تعيش في الشارع نفسه، وهي من الفتيات اللاتي يلاحقها الشباب دائماً، فثيابها دوماً على خير طراز، ونادراً ما تُرى دون ماكياج. حتى في المدرسة.

ارتدت سترتها باندفاع ثم قالت: «سأقصد أديث ثم أعود بعد قليل».

كانت السماء صباح ذاك السبت مشمسة صافية وكانت سوكي وهي عائدة من بيت أديث تود الطيران حتى تصل باب منزلها، ولكن الحذاء العالي الكعبين الذي أعارتها إياه أديث، والتنورة الجينز المزررة حتى الأسفل منعاها من السرعة.. كان وجهها متصلباً خشناً بشكل غريب وأهدابها ثقيلة مما لم تعتد عليه من ظلال وكحل.. ولكن سوكي كانت عمياء عن كل ما يقلق راحتها، لأن أفكارها لا تدور إلا في محور لقائها المنتظر... وقد حدث أن تأخرت بعض الوقت لأنها وجدت سيارة لويس قرب المنزل، وسمعت أمها تقول من داخل البيت:

ـ ها هي روزي الآن.

لم تسمع سوكي كلمات أمها، فقد طار بصرها إلى الرجل الذي هبَّ من مقعده عند دخولها قائلاً:

ـ مرحباً روزي.

حلمت كثيراً بهذه اللحظة، لكن الواقع أفضل بكثير من الخيال. تلك الصور التي رأتها ليست إلا تلميحاً إلى تأثير وجهه القوي وعينيه الرماديتين الناظرتين إليها مباشرة. أحست فجأة بخجل مؤلم، فأخفضت عينيها بسرعة فيما مدَّ جو يده للتحية ولكنها ما لبثت أن استجمعت رباطة جأشها بعد ما تذكرت أن عليها الظهور بمظهر الشابة الناضجة المحنكة. فقلبت حياءها، ونظرتها المطرقة إلى غزل متعمد من أهدابها المشبعة بالكحل. فيما راح قلبها يخفق

بجنون ما إن تلامست يداهما.

ـ من دواعي سروري أن أقابلك أخيراً.

حاولت بكلامها تقليد الممثلات وعلى الأخص منهن ممثلة كانت تمثل دائماً دور «الأنثى الفاتنة»

ـ حدثنا لويس عنك كثيراً.

ـ وماذا عني؟

قطع أفكارها صوت لويس الذي فتح ذراعيه لاستقبالها:

ـ تعالي وقولي مرحباً لأخيك الكبير.. ألم تشتاقي إليّ؟

ـ أوه.. بالطبع اشتقت لك.

كان من عادة سوكي أن ترمي نفسها بين ذراعيه مرحبة ولكنها الآن بسبب وجود الرجل الآخر في الغرفة، عانقته بسرعة، ثم ارتدّت خشية أن يبعثر شعرها كالعادة بطريقة لا تليق بالصورة التي تريد أن تظهر بها. لكن لويس لم يدعها تفلت:

ـ هاي.. ماذا جرى؟ أما عدت تحبينني؟

أمسك بها وضمها بعناق كاد يزهق أنفاسها، ثم تركها فجأة ووجهه عابس مشمئز:

ـ بووف..! لماذا تزينت بهذه الطريقة وكأنك طعام كلب..؟ وماذا فعلت بشعرك؟

ـ لقد جمّدته.. أيعجبك؟

السؤال للويس أما عيناها فعلى جو سعياً لقراءة أفكاره. رد لويس ساخراً:

ـ تبدين وكأنك علقت وسط العاصفة.

تاقت يدها إلى لكمة كانت تلجأ إليها دائماً حين يضايقها بمزاحه.. ولكنها منعت نفسها بجهد.. وقالت أمها بهدوء:

ـ إنه غليظ جداً حبيبتي.. أين سرحته على هذا النحو؟

ـ لقد ساعدتني عليه أديث بجهاز منزلي. كان مجرد فكرة آنية.

والتفتت صوب جو مبتسمة:

ـ يقول لويس إنك تمتلك بضعة فنادق.. صحيح؟

ـ أجل.. علماً أنها متخفضة المستوى، وقديمة الطراز. ولكنني أخطط للقيام بشيء ما بصددها.

ـ أجل.. أخبرني لويس أنك تمتلك أفكاراً عظيمة مثيرة.

قالت الأم:

ـ ألن تجلسي روزي؟

ـ أوه.. أجل.. تفضل اجلس جو. فلسنا في احتفال.

كان رده إشارة من يده إلى الأريكة، فسحرتها هذه الإشارة وملأت قلبها غبطة وقد حدث أن ظلّ واقفاً تأدباً حتى جلست. لكن ما إن جلست، حتى ارتفعت تنورة أديث القصيرة، حتى ما عاد لها وجود، فكشفت بذلك عن ساقيها المديدتين المغلغلتين بجوارب سوداء شفافة وقد اختارت الأسود لأن أديث قالت لها إن اللون الأسود يظهرها نحيفة.

قفز قلبها حين تقدم جو ليجلس قربها فاستدارت في مقعدها تواجهه... بعد ذلك لم تعد تذكر كلمة مما قاله.. فالإثارة بلغت إلى رأسها فخدّرتها... فراحت تبالغ برفرفة عينيها، مستخدمة كل ما سمعته أو قرأته عن لغة الجسد لتوصل الرسالة إلى جو عن مشاعرها.

ـ أحب العيش في فيلادلفيا.. إن حياة المدينة رائعة دون ريب مختلفة كل الاختلاف عن الحياة هنا.

ـ أتظنين هذا؟.. أنا أحسد من يعيش في الريف.

ـ أوه.. لا أصدق هذا! فالحياة هنا رهيبة ومملة. بحيث لا تستطيع أن تفعل شيئاً فيها.

ـ إذن ربما يعجبك المجيء للعيش مع لويس بعض الوقت... وإن كان لديّ وقت أصطحبك لزيارة المدينة.

أوه.. أجل.. أرجوك! سأحب هذا..! كادت الكلمات تخرج منها.. ولكنها كبحتها، أما ابتسامتها هذه المرة فكانت طبيعية غير مصطنعة فزجرت نفسها تذكرها بالدور المحنك الذي تلعبه، وتذكرها بنصيحة أديث التي تفيد أن تظهر البرود، فقلبت ضحكتها العفوية الواسعة إلى ابتسامة رقيقة متكلفة:

ـ ما أروع ما يكون ذلك.. إن ذهبت إلى المدينة، فقد ألزمك بوعدك.

انقلبت بسمته إلى تقطيبة أظلمت وجهه.. فلعنت سوكي أديث.. لقد أخطأت في شيء ما.. فالرجال يحتاجون إلى رؤية اهتمام الفتاة بهم وإظهار البرود لم ينجح.. فكان أن أسرعت تهيء نفسها لتصحيح الخطأ. فسألته بعينين نجلاوين آملتين:

ـ أتبقى معنا طويلاً؟

ـ ليلة واحدة على ما أخشى.. كنت أتمنى لو تكون المدة أطول، ولكن ثمة ما يجبرني على العودة غداً.

كان صدق أسفه كافياً لها خلال ما تبقى من بعد الظهر والمساء. وقد مرَّ الوقت وهي تدور في حلقة البهجة فأطلقت السعادة عقال لسانها حتى تألقت على مائدة العشاء، مما أدهش عائلتها التي اعتادت على خجلها وتحفظها. وحين انسلت إلى غرفتها شعرت بأنها تطير وبأن قدميها لا تلامسان الأرض...

استغرقت في النوم حالما لمس رأسها المخدة، وكانت أحلامها غنية بصور الرجل الطويل ذي الشعر الأسود والعينين الرماديتين الثاقبتين.

استيقظت صباحاً نشيطة، فجلست أمام طاولة الزينة تتصارع مع المساحيق وأدوات الزينة الأخرى التي استعارتها من أديث. وبعد جهد جهيد تمكنت من الوصول إلى ما يقارب ما كانت عليه بالأمس.. كانت على وشك الانتهاء حين سمعت صوتاً في الحديقة تحت نافذتها مباشرة:

ـ أظننا نكون جاهزين للافتتاح قريباً.

إنه صوت جو الذي باتت قادرة على تمييز نبراته العميقة أينما كان، أسرعت إلى النافذة تطل فوجدته مع أخيها وظهراهما إليها... فجفَّ فمها من الإثارة. فهي حتى الآن لم تكن تفهم معنى كلمة «مثير».

جعلتها حركة خفيفة من رأس جو تنكمش إلى الداخل خشية أن يلتفت فيراها. فهي لا تريد أن يضبطها تختلس النظر إليه هكذا.. سمعته يضيف:

ـ سأحتاج إلى موظفين جدد إنما بالطبع بعد اكتمال التعديل. فقد كان المكان فقيراً بالموظفين من قبل، وكأنما الأمور لم تكن سيئة بما يكفي، فقد أخبرتني موظفة الاستقبال أنها سترزق طفلاً، وعليَّ استبدالها أيضاً.

ـ ربما وجدت مكاناً خالياً لروزي في مكان ما.. ستترك المدرسة في الصيف، وليس لديها فكرة عما تفعل. ما رأيك بوظيفة الاستقبال هذه؟

خفق قلب روزي.. ستعمل عند جو هارلو في أحد فنادقه وهذا يعني أنها ستراه دائماً محققة بذلك أحلامها.. ضحك بخشونة:

ـ موظفة استقبال... روزي؟ فليكن لديك رحمة لويس! أريد فتاة جذابة، تعطي الفندق دعاية جيدة.. فتاة تجعل الضيوف

مبتهجين لاختيارهم أحد فنادق هارلو لا مراهقة صغيرة تخيفهم وتبعدهم!

• • •

٤ ـ امرأة وراء القضبان

ـ عذراً!

انتفضت سوكي فعادت إلى حاضرها، رافعة وجهها إلى الرجل الذي حدثها، وموجة احمرار تغسل خديها. . فقد أدركت أنها تقف في طريقه.

ـ أوه. . أنا آسفة. . كنت أحلم دون شك.

تنحّت عن طريقه بسرعة، تنظر إلى جو من خلف زجاج مدخل المقصف ولكنه كان مشغولاً بالحديث مع رجل نحيل أشقر يجلس معه. شاهدت الرجل يبتسم مقهقهاً وهو يرفع يديه في الهواء راسماً شكل جسد، إشارة جعلت جو يرمي رأسه إلى الوراء ضاحكاً بصوت مرتفع، فصرّت أسنانها بغيظ، فلن تخطىء فهم معنى تلك الإشارة، فقد رأت رجالاً كثيرين يصفون شكل الأنثى بتلك الطريقة. . . رفعت رأسها بشموخ متّخذة قرارها بسرعة حتى قبل أن تدرك. التفت رأس جو ما إن سمع صرير الباب المفتوح، ثم ردَّ كمّ قميصه قليلاً لينظر إلى الساعة نظرة ذات مغزى فقالت بجفاء:

ـ آسفة للتأخير. . هل انتظرتني طويلاً؟

ـ برهة. . . ولكنني أؤكد لك أنك تستأهلين الانتظار.

رددت سوكي لنفسها: توقعت منك ما هو أكثر ابتكاراً سيد هارلو. . . فلن يوصلك الغزل إلى مأربك، خاصة وهو مترافق مع

هذه النظرة المحدّقة إلى قوامها. وكما فعل في لقائهما الأول قبل تسع سنوات، هبَّ واقفاً حين دخلت، ولكنها لم تعد تلك الساذجة الصغيرة التي تعتبر هذه الحركة العديمة المعنى دليلاً على الأدب.. فهناك أكثر من إشارة لتجعل من الرجل رجلاً مهذباً محترماً.

لكن، يجب أن تكون مؤدبة معه، بل ودودة أيضاً، على الأقل إذا رغبت في تنفيذ خطتها.. ولكنها تحس بالعطش، من جرّاء الوقوف تحت الأنوار الشديدة أثناء العرض.. فابتسمت حين سألها إذا كانت تود شرب شيء.

- مياه معدنية أرجوك.

- ألا تريدين شيئاً أقوى من هذه.

- لا.. شكراً.. لا أريد شيئاً قد يؤثر في شكلي أو لون وجهي.

مررت يدها على خصرها ثم ملست التنورة الضيقة، فلاحظت أن عينيه تومضان وهما تتبعان حركة يديها. الرجال واضحون دائماً، فما أسهل التكهن بما يفكرون.. ولكنها تعجبت من نفسها فكيف اعتبرت يوماً هذا الرجل تجسيداً لأحلامها! عاودتها ذكرى تلك التنورة الصغيرة ذات الأزرار الضيقة، فأجفلت. إنها لا تريد أن تتذكر كيف كان شكلها، ولكنها لن تنسى أبداً كلمات جو القاسية.

أصبحت عيناها قطعتي جليد زمرديتين وهي تنظر إليه يطلب من الساقي ما يريد، ثم يستدير إليها، مشيراً إلى الرجل الأشقر:

- هذا صهري تشايس رامسدي.. تشايس هذه سوكي باكس.

مدّت سوكي يدها، وابتسامة مؤدبة على شفتيها.. لكن حين فهمت ما قاله جو تماماً، تجمدت البسمة على ثغرها.. هذا الرجل متزوج من شقيقة جو! تذكرت الإشارة التي قام بها تشايس ولم تستطع إلا أن ترد على تحيته بهزة رأس باردة.

- أملت أن ألتقي بك آنسة باكس، لقد شاهدت العرض الذي كان رائعاً!

سألته ببرود:

- وهل تمتعت به زوجتك كذلك؟

- جاين؟ لا.. لم تأتِ الليلة. إنها ليست على ما يرام.

- أوه.. هذا مؤسف.

بذلت جهداً كبيراً حتى تبدو كلماتها مؤدبة.. فقد أحست بالشفقة على جاين هذه.. ترى كيف سيكون شعور تلك المرأة تزوجها يصف بدقة ووضوح أنثى مثيرة بتلك الطريقة؟ سمعت صوت جو: «شرابك».

- أوه.. شكراً.

حملت الكأس الذي راحت تحتسي منه المياه المعدنية الباردة الثلجية المدغدغة.. كان رأسها يدور بأفكار غاضبة وهي تتذكر ردة فعل جو الضاحكة على إشارة صهره.. من أي نوع من الرجال هو؟ كيف يجد تسلية في ما يفعله رجل متزوج من أخته؟

أفرغ تشايس رامسدي كأس عصيره وقال:

- حسناً.. من الأفضل أن أذهب الآن، فجاين دون ريب تتساءل الآن إلى أين ذهبت. وأنا واثق أنكما تودان الانفراد. سرّني مقابلتك سوكي.. ربما يدعوك جو إلى العشاء يوماً عندنا. فأنا واثق أن جاين ستسعد برؤيتك، فقد خاب أملها لأنها لم تستطع حضور العرض الليلة.

- وأنا أحب أن أقابلها.

كانت الكلمات تأدباً ليس إلا.. فقد ازداد توترها من الملاحظة التي أبداها عن رغبتهما في الانفراد، وسرت كالإبر في عروقها. أحست فجأة برغبة شريرة غير متعقلة، تدفعها إلى تأخيره عن

الذهاب، وإلى إلهائه بالحديث. إنها مستعدة لفعل أي شيء، نعم أي شيء عدا البقاء وحدها مع جو ولكنه كان قد ارتدّ على عقب يلوّح لهما.

ارتشفت سوكي ثانية من كأسها فشعرت ببرودة الماء المدغدغة ترطب الجفاف المفاجيء في فمها... انبعث كل عصب في جسدها حياً لوجود هذا الرجل قريباً منها بحيث كانت ذراعه تضرب ذراعه كلما رفعت كأسها لتشرب. كانت معتادة على أن تكون أطول من أي رجل تلتقي به، ولكنها وجدت طول جو مثيراً للاضطراب، فهو يعلوها كالطود حتى تكاد تشعر وهي واقفة أمامه أنها معرضة للخطر. وهذا شعور لم تعتده إطلاقاً...

- هل لنا أن نصعد إلى فوق؟

اخترق صوت جو أفكارها حتى كادت تشرق بشرابها.. فسألته بحدة:

- فوق؟

- أنا مقيم في الفندق هذا الاسبوع، لأوفر على نفسي مشقة الانتقال.. اتخذت لي جناحاً فكرت أن نتناول العشاء فيه.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي لا تعرف ما ترد.. حين قبلت دعوته حسبته يصطحبها إلى مطعم ما، في مكان عام. ولكن أن تكون معه على انفراد في مكان حميم كجناح في فندقه، فهذا ما لم تخطط له قط.. إنه يوحي... يوحي بماذا؟ استجمعت سوكي نفسها بسرعة.. هل هي منجذبة إليه أكثر مما هو الواقع؟ لكن.. أليس هذا ما كانت تريده؟ أما كانت تريد أن يعتقد أنها منجذبة إليه، وتريد بالتالي أن ينجذب إليها؟ لتتخلى عنه بعد فترة كما فعل يوماً. لملمت شتات نفسها بحذر ثم ألقت بسمة دافئة وجهتها إلى وجهه.. لمّا رأت وميض عينيه استجابة لبسمتها أحست بالرضى.

- أنا جاهزة.

استراحت يده على خصرها وهو يقودها خارج المقصف باتجاه المصعد. أحست بدفء راحة يده فوق حرير بذلتها الناعم، فرغبت في سحب نفسها بعيداً عنه.. ولكنها فعلت العكس تماماً، فقد مالت إلى الوراء قليلاً، حتى ازداد ضغط يده على ظهرها. سألته:

- ما رأيك بالعرض؟

وانطلق المصعد بهما.. لا إلى الطابق الأول هذه المرة بل إلى السادس. ردّ بنبرة لا تلزمه بشيء.

- أعتقد أنه سار على ما يرام.

أحست بالسخط، فقد توقعت منه أكثر من هذا.. فتابعت حول استدراجه:

- هل أعجبك الثوب الأحمر؟

كشف هذا الثوب عن بشرتها الحريرية البيضاء، وهو ثوب يروق لكل رجل...

خففت بسمة من قسوة وجهه، ورد متمتماً ولمي عينيه مرح:

- فضلت الأزرق أكثر منه.

وهذا ما أخبر سوكي أنه يعي طريقة تفكيرها.

- لكنه ثوب سترني من رأسي إلى أخمص قدمي!

- بالضبط.. لا تحتاج المرأة حين يكون لها جمالك إلى عرض مفاتنها وكأنها بضاعة في واجهة محل. فالرجل يفضل أن يظن أن هذه المفاتن لعينيه فقط.

فقدت القدرة على الرد فقد كانت تتوق إلى إطراء، ففهم توقها هذا وأعطاها ما تريد. لكن الطريقة التي قال بها إطراءه قلبتها رأساً على عقب، حتى أحست أنها تعرضت لقمع متعمد. فقالت:

- لكن كان الثوب الأحمر ميزة العرض حتى اعتبره الجميع

أفضل ما صممه ديور هذا العام.

توقف المصعد، فقال:

ـ ربما.. ولكنني بكل تأكيد فضلت الأزرق.

اعترفت لنفسها وهي تلحق به أنه أدهشها برأيه هذا، فقد آمنت عن حق أن ما من رجل يستطيع مقاومة إغراء الثوب الأحمر واختياره ثوباً طويل الأكمام، عالي الياقة أذهلها.. كم من المفاجآت يخبئها لها يا ترى؟ غير أن هذا الترقب لم يهدىء ثورة معدتها إطلاقاً.

كانت الغرفة التي شاهدتها ليلة أمس جذابة، ولكن هذه الغرفة القابعة في الطابق العلوي من الفندق فخمة إلى حد لا يوصف. ديكورها من طراز ديكور الغرفة الأولى، إلا أنها عبارة عن جناح من ثلاث غرف: غرفة الجلوس وهي التي يقفان فيها، وغرفتا نوم وحمام ملحق بهما. كانت نافذة كبيرة تحتل الجدار المقابل لها كله، حتى استطاعت رؤية أنوار المدينة ممتدة أمامها. أخذ عنها جو سترتها:

ـ أريحي نفسك.

ثم فتح ياقته وتناول لائحة طعام جلدية حمراء، وأعطاها إياها قائلاً:

ـ ألقي نظرة عليها وانظري ما ستطلبين.

لكنها كادت لا تنظر إلى اللائحة.. فأعصابها اضطربت مما رأته من تشابه واضح ثم ازدادت اضطراباً من تعليق جو على الفستان الأحمر حتى أصبحت غير واثقة من قدرتها على تناول أقل طعام.

ـ دجاج وسلطة فقط.

قطب جو جبينه:

ـ أهذا حقاً كل ما تطلبينه؟ أنت نحيلة بشكل مؤلم.

ـ أنا نحيفة لا نحيلة والنحافة أساس مهم في عملي... دجاج وسلطة فقط.. رجاءً.

حين أنهى اتصاله طالباً العشاء قال:

ـ لن يتأخر الطعام. أتودين شراباً أثناء انتظاره؟

فكرت سوكي قليلاً.. إنها تريد أن تسحر هذا الرجل، أن تكسب وده.. ولكن إذا كان عليها ذلك فلتسترخ، فتقلص عضلات معدتها يشير إلى مدى توترها.

ـ عصير برتقال.

جلسا قبالة بعضهما بعضاً يمسك كل منهما كأسه. سألها:

ـ حدثيني عن نفسك إذن. ألديك عائلة؟

ارتشفت سوكي القليل من شرابها لتؤخر الرد. كانت تعلم أن هذا حاصل آجلاً أم عاجلاً، فكيف السبيل للرد على هذا السؤال؟ ربما من الأجدى والأسلم، أن تقول ما هو قريب من الحقيقة قدر المستطاع.

ـ لدي أبوان وأخ واحد. لا يعيشون هنا إنهم يسكنون في شمالي بنسلفانيا.

هل تقول له إن أخاها يعمل في إفريقيا؟ ولكن ماذا لو كان جو ولويس يتراسلان؟.. فبعد تلك الزيارة المصيرية لم تعد إلى ذكر جو أمام أخيها البتة. وحين عرض عليها رحلة معه إلى فيلادلفيا عشية عيد ميلادها الثامن عشر، وجدت عذراً لتجنبها، بعد ذلك مباشرة قبل لويس وظيفة مهمة في إفريقيا.. ومنذ رحيل لويس توقف أي اتصال مع جو. سألها:

ـ هل أردتِ دوماً أن تصبحي عارضة؟

ـ أوه.. لا.. حين كنت في المدرسة لم يكن لي فكرة عما أريد

أن أعمل. ثم إنني...

صمتت فجأة ترتشف العصير قليلاً لتستر غلطتها التي أوشكت على ارتكابها فقد أرادت أن تقول: «كنت سمينة وبشعة لأفكر في عرض الأزياء» وكان جوابها هذا سيفضح له الكثير.

- إنك ماذا؟

- لم أكن أفكر أن لديّ فرصة.. فهو عالم شرس.

- وكيف انتهى بك الأمر إليه؟

- كسبت مباراة نظمتها إحدى المجلات.. كنت اشتركت فيها للمرح فقط، أما الفكرة فكانت فكرة أمي، ولكنني ذهلت حين ربحت الجائزة الأولى، إضافة إلى مهمة عرض للمجلة و... الباقي أصبح من الماضي.

والماضي تكيف بحذر لينسجم مع هذه المناسبة. سُرَّت سوكي عندما سمعت قرعاً على الباب يعلن عن وصول وجبتهما فكان ذلك قد جذب اهتمام جو بضع دقائق هي ما كانت بحاجة إليها للتفكير ولدفع توترها.

لم تذكر شيئاً عن السنة التي مرت قبل المباراة.. أو عن السنة التي قبلها التي عاشت فيها وهي تقوم بحمية قاسية وتمارين مكثفة مضنية. انضمّت إلى مدرسة «أيروبيك»، وقرأت كل مقالة عن العناية بالجمال، وطبقت الدروس التي تعلمتها وكأنها عبادة مفروضة، فكانت بتلك الطريقة أن حققت تنظيماً نفسياً كبيراً.

أمها التي دهشت في البدء بسبب هذا الانقلاب الكامل شجعتها ودعمتها، ودفعت لها تكاليف الزيارات المنتظمة لأفضل مزيني الشعر المحليين، وأحدهم هو الذي سرّح لها شعرها هذه التسريحة الشهيرة التي تشبه تسريحة كليوباترا، وقد كان لهذه التسريحة الأثر الكبير في نجاحها في المباراة كما كان لها الأثر الأكبر في اتخاذها

قرار العودة إلى استخدام اسمها الأصلي في عالم الأضواء.

وقد أحسنت صنيعاً بقرارها ذاك.. وإلا لما تمكنت من تنفيذ هذه الخدعة.. تحركت قلقة في مقعدها خشية أن يتعرف إليها جو، غير أن تصرفاته لا تنمُّ عن شكه بهويتها.. بل بدا عكس ذلك منجذباً إليها أكثر مما كانت ترغب، حتى شعرت بالانتصار لما سارت عليه الأمور.

تركت الحديث أثناء تناول الطعام خفيفاً، فالتزمت بدقة الحديث عن سنوات إقامتها في فيلادلفيا تجنباً للأفخاخ التي قد تكون مخبئة في أي حديث يتعلق بطفولتها وحياتها في بلدتها... ونجحت في ذلك. فقد كانت مولعة بسرد قصص رحلاتها، ووصف الأماكن المثيرة التي وقفت فيها للتصوير وقفت غريبة، وراحت خلال ذلك ترطب قصصها بروايات ضاحكة عن مشاكل عرض ملابس خاصة في مواسم غير مواسمها. روت أنها كانت أحياناً ترتجف من البرد شتاءً بسبب ارتدائها ثياباً قصيرة رقيقة أو كانت تشتعل عرقاً بسبب ارتدائها الفرو في أيام موجات الحر... وقد حدث أن جعلت رواية ما رأس جو يرتد إلى الوراء ضاحكاً.

- لا بد أن هذه كانت صورة ممتازة!

نظرت إلى الصورة فتذكرت ذلك اليوم حينما غيرت وضعيتها ووقفت في مؤخرة رصيف الميناء مستندة إلى السياج الذي انهار فأوقعها في البحر في وقت التقاط الصورة تماماً..

بذلت جهداً حتى تحافظ على هدوء أعصابها.

- كانت صورة رائعة حقاً.

حين ابتسم كادت تنسى من هو. فلهذا اللمعان الغريب الذي أضاء عينيه تأثير غريب في أنفاسها التي تسارعت بطريقة غير سوية.

- حين ظهرت الصور لم أرَ إلا قدمين مرتفعتين في الهواء

مرتديتين أغرب حذاء غالي الثمن، والحذاء فسد كما الماكياج تماماً.

تجهّم وجهها لأن ذكرى أخرى غير مرغوب فيها تصاعدت إلى ذاكرتها... وهي ذكرى قبيحة مشعثة فحينما انتشلت من الماء كان الماكياج يلطخ وجهها وكان شعرها متدلياً كأذناب الفئران، وكانت المياه تتقطر من ثيابها فيما حذاؤها راح يصدر صوتاً غريباً كان سببه الماء المتشبع فيه في تلك اللحظة بالذات تقابلت وجهاً لوجه مع بيل الذي لن تنسى أبداً نظرة الرعب التي اعتلت وجهه.. فقد كان رجلاً يحب كل ما هو جميل، وكان مولعاً بجمع الأثريات والأنتيكات التي راح يجمعها سنين وسنين وكان عليها يومها أن تعترف متألمة أنها بالنسبة له ليست أكثر من أحد أنتيكاته الجميلة التي سيضيفها إلى مجموعته.. وفي تلك الأمسية انتهت علاقتهما.

تركت الذكرى طعماً كريهاً في فمها، فدفعت الطبق لأن شهيتها هجرتها. قطب جو غير موافق:

ـ أهذا كل ما تأكلينه؟

ـ لقد أكلت ما أريد.. لم أكن قط صاحبة شهية كبيرة.

قولها هذا غير دقيق أبداً، فخلال أيام حميتها الأولى اضطرت إلى مقاومة الجوع بشكل شرس، وقد حدث أن راحت ترى في منامها البيتزا وأطباق المعكرونة والحلوى، ولكن ما يفقدها شهيتها في الوقت الحاضر ليس التفكير في خسارة الوحدات الحرارية.. وأضافت:

ـ النساء لا يحتجن إلى الوحدات الحرارية كما يحتاجها الرجال.

لاحظت تماماً الوجنة العامرة التي تناولتها وتمنعه الظاهر بها كما لاحظت أن جسده نحيف ليس فيه ذرة وزن زائدة، بدا برهة على

أهبة الاستعداد لمتابعة النقاش لكنه هزّ كتفيه صارفاً النظر عما كان مصمماً على قوله.

ـ القهوة إذن؟

ولكن، في عمق عينيه السوداوين شيء ما جعل سوكي تتوتر وتكره ريحاً باردة عصفت بها.

وجدت أن توترها مبدئياً يعود إلى الطريقة التي أوقف الجدال بها فجأة.. فهزة الكتف تلك تدل على عدم اكتراث كامل جعلها تغضب، فهي لا تريده أن يشعر بقلة اكتراث نحوها. قالت له:

ـ أجل.. أرجوك.. دون سكر.

فتمتم ساخراً:

ـ طبعاً.. وما غير هذا؟

تركا الطاولة ليشربا قهوتهما براحة فاختارت سوكي الجلوس على الأريكة.. كانت حتى الآن تتظاهر باتجذابها إليه ويرغبتها في التقرب منه فسمحت لنفسها، وهي ترى جسده الطويل يجلس قربها بابتسامة نصر خفية.

ـ هل تشغل عادة جناحاً في كل فنادقك؟

أسندت ظهرها إلى الخلف مديرة رأسها إليه مستخدمة جسدها ليقل إليه الرسالة التي تود أن يؤمن بها.

ـ حين تدعو الحاجة.. وهو يريح النفس أكثر من التنقل يومياً بين مسكني وموقع عملي يومياً.. لكنني بعد هذا الأسبوع سأعود إلى منزلي.

ـ أنت لا تعيش في فيلادلفيا إذن؟

وهذا أمر جديد بالنسبة لها.. فعندما كان لويس يتحدث عن جو، كان يقول إن لصديقه شقة في فيلادلفيا، لكن هذا كان قبل تسع سنوات. ومن غير الطبيعي ألا يتغير شيء... هزّ جو رأسه.

ـ لقد اكتفيت من حياة المدينة ما يكفيني العمر كله. لذا تجدينني أرغب في الاتجاه إلى الريف حينما أستطيع.. ألا تجدين نفسك مشتاقة للريف؟

ـ أشتاق إليه؟

عمل عقلها بريبة فقد ظنت أنه قد عرف هويتها وأنه يتذكر روزي ومنزلها في تلك البلدة الشمالية الصغيرة. وكان عليها ابتلاع ريقها بقوة لإزالة إحساس بالجفاف فقرب جو منها، وموضوع حديثهما يحييان ذكريات غير مرحب بها. ملأت نفسها موجة إحراج لأنها تذكرت محاولاتها الخرقاء للظهور بمظهر المرأة المحنكة التي تجد حياة الريف مملة... استجمعت جأشها لتقول ببرود:

ـ هناك مدن كثيرة في بلادنا وهي مدن تعتبر من أكبر مدن العالم فلماذا يظن أهل المدن أن المدنيّة تتوقف خارج ضواحي مدينتهم؟

ـ أنا لم أقل هذا. ولست جاهلاً جاذبية الريف.. وعندي صديق عزيز يعيش أهله في الريف وأنا أملك منزلاً ريفياً يشبه الكوخ في تُرجينيا على سفوح جبال الأبلاش.

ـ أحقاً؟

خرج سؤالها بنفَس مقطوع، فذكره صديقاً عزيزاً يعيش أهله في الريف كان تلميحاً إلى عائلتها، فأملت ألا يقوده دفاعها عن الريف والشمال إلى تذكر روزي. فالتفكير بلويس وبمنزلهم قد يدفعه إلى تذكرها. فقالت له:

ـ لا أظنك تجد الوقت لزيارة الريف كثيراً؟

لقد قال إن كوخه في تُرجينيا، وأهلها يسكنون شمال بنسلفانيا إلا أنها لم تستطع أن تبعد فكرة ذهابه إلى الشمال واقترابه من المكان الذي يعيش أهلها فيه، وهذا ما قد لا تعرفه. ولكنها لم

تمكث في قريتها بعد تلك الحادثة إلا سنة وبعض السنة، لأنها بعد ذلك انتقلت إلى عاصمة الولاية فيلادلفيا. ومع أنها حاولت أكثر من مرة العودة لزيارة موطنها، إلا أن ضغط العمل حال دون ذلك. أحست فجأة بإحساس غامر من الشوق إلى البيت حتى كادت الدموع تلسع لحاظ عينيها.

سمعته يجيب:

ـ صحيح أنا لا أجد متسعاً من الوقت، غير أن ذلك لا يمنعني من اختطاف فرصة في نهاية اسبوع هنا وآخر هناك. لكن هذا لا يكفي. أستخدم كوخي ملاذاً... لأهرب إليه من كل شيء، خاصة وأنه بلا هاتف يقع بعيداً عن الناس، فأقرب قرية تبعد عنه عشرة كيلومترات.. لذلك حين أكون فيه أنقطع عن العالم فأنسى كل ما يتعلق بحياتي وفنادقي.

ـ وماذا تفعل عندما تكون فيه؟

إنه جانب لم تتوقع أن تكتشفه في جو... فقد كانت تراه رجل أعمال قوياً فائق السلطة، غارقاً في عمله، لا يزدهر إلا في ضجيج وازدحام المدن. ولقد حملت حديثه عن الريف في لقائها الأول به على محمل الحديث المهذب.. ردَّ:

ـ أقرأ، أصغي إلى الموسيقى، أسبر أميالاً، أو أعمل في الحديقة وباختصار أقوم بما لا أجد متسعاً من الوقت للقيام به هنا.

ـ تبدو حياة مثالية.

لم تقصد أن تكون ملاحظتها ساخرة.. انسجامها النفسي مع هذا الجانب الجديد تآلف مع ذكريات سعيدة عاشتها، ومع عادات شبيهة كانت تقوم بها في طفولتها البريئة السعيدة لذا خرج تعليقها بنبرة تتناقض مع خطتها، فما كان منها عندئذ إلا أن أشاحت بصرها بعيداً عن عينيه الرماديتين الثاقبتين متمنية لو تسيطر على صوتها.

- هذا صحيح. . ربما ترغبين في قضاء نهاية أسبوع هناك يوماً؟

- سأرحب بذلك.

بدت السعادة في صوتها فقد تراءت لها صور عن الحقول والمزارع وشعرت بأنها مراهقة تنطلق إلى نزهات بعيدة في الحقول، متمتعة بالمساحات الخالية والصمت حيث تمتزج الألوان في مزيج من الألوان ساحر، وحيث تداعب الريح شعرها فتبعثره. في هذه اللحظة بالذات هاجمها الحنين إلى البيت مرة أخرى، فقد مرّ وقت طويل منذ أن شعرت أنها متحدة مع ما يحيط بها.

- حسناً، ربما نستطيع تدبير شيء. . .

قاطعته بسرعة:

- لن يكون ذلك سهلاً. . فقد أخبرتك ليلة أمس أن أوقاتي محجوزة حتى أسابيع قادمة، فلن أحظى بعطلة قبل آب على الأقل.

- لا بأس في هذا. . لا داعي للعجلة. فلدي أنا أيضاً التزامات عديدة، ما رأيك بشهر آب الذي يناسبني؟ وحتى يحين ذلك الوقت نتباحث التفاصيل.

لم تكن قد خططت لقضاء عطلة برفقته. . . ولكن ما فعلته عكس ما خططت إنما لا بأس بالوعد فشهر آب لن يحل قبل شهرين قد يحدث خلالهما الكثير. . . فإن سارت الأمور كما خططت لها، فلن تكون في حياته حين يحين ذلك الوقت. ولكن حالما لوت قلبها فكرة خسران رحلة إلى فرجينيا تجاهلتها على الفور. فلتزر أمها ومورغان إن شعرت بشوق إلى رؤية الريف ثانية.

جعلها شيء ما لامس وجنتها تنتفض وتهب من أفكارها، وما زادها ارتباكاً أن ما شعرت به ما هو إلا لمسة من يد جو التي راحت تطوف بخفة على وجهها بدءاً من صدغها انتقالاً إلى فكها، ومكوناً تحت ذقنها الذي أمسك به ليدير وجهها إليه.

كانت تتوقع هذه اللحظة. . إنما ما شجعه في الواقع جلستها الهادئة على الأريكة وصوتها المشبع حناناً وحركاتها العفوية. شعرت بمعدتها تتقلص توتراً من جراء تذكر ذلك التهجم المقصود عليها أمام المصعد في اليوم السابق.

وجدت بسهولة مدهشة في رفع ذراعيها لتعقدهما حول عنقه وتترك أناملها تداعب شعره الأسود الناعم. حالما لمسته شعرت به منتشياً. . وسرعان ما اشتعلت نيران الغضب في نفسها. . فهو واثق من نفسه معتداً بها، يحسب أن ما من امرأة تستطيع مقاومته، وما ابتسامته هذه إلا ابتسامة انتصار لتجاوبها السريع. ولكن هذه الفكرة كانت آخر فكرة متماسكة عندها فبعد ما انسلت يداه إليها، ملأ الضباب ذهنها وكأن غيمة كثيفة اجتاحته فجأة، فقد شعرت أن عناقه يرميها إلى وادٍ سحيق فتنهدت بطريقة لا واعية وراحت أناملها تلف شعره، وتجذب رأسه إليها حتى اضطر أخيراً وعلى مضض للارتداد عنها لالتقاط أنفاسه.

رفعت رأسها بحذر لتنظر إلى عينيه فوجدت أن الرغبة التي كانت تحترق في داخله زادتهما اسوداداً، فتعالى إلى رأسها فوراً إنذار الخطر. . . لقد سارت الأمور إلى أبعد مما خططت. . . لذا يجب أن تتوقف قبل. . .

تجنّب عقلها بجبن التفكير في ما قد يحصل. . . فهي من أرادت تشجيعه، من أرادت تقديم الحبل ليشنق نفسه إنما ليس دفعة واحدة. . . وعلى الأمور أن تسير ببطء. . فبإمكانها قراءة مشاعره في عينيه القاتمتين. ولا مجال للخطأ في نار الشوق التي تحرقه. فسارعت وهو يحاول الوصول إليها ثانية، إلى الالتفات بطريقة ظاهرها عفوي، لتنظر إلى ساعتها، ولكنها في الواقع حركة مدروسة.

ـ يا الله! أهذا هو الوقت؟

تجنبت بحركة لينة رشيقة قبضته وانسلت من بين ذراعيه، ووقفت قائلة بخفة:

ـ يجب أن أذهب.

حاولت الابتسام لعينيه، ولكن أعصابها كادت تخونها وهي تراهما تضيقان بسرعة. فتماسكت بجهد وتصميم، فهي تعلم أن هذا لن يرضيه، وهذا هو تماماً ما تريده من تأثير فيه... فكلما أحس بالإحباط كلما ازداد شوقاً إليها وعندئذ، ستتركه يلاحقها حتى يظن نفسه قد أمسك بها وفي تلك اللحظة تقلب الطاولة في وجهه، لتريه من هو الصياد حقاً ومن هي الطريدة. سمعته يقول:

ـ بهذه السرعة!

تعجبت من سرعته في السيطرة على نفسه. فهي تشير إلى قوة شخصيته، وهذا ما عليها أن تتذكره في المستقبل. فجو هارلو لن يكون ذلك الخصم السهل كما كانت تظن.

ـ قلت لك.. يجب أن أكون في الفراش في منتصف الليل.

ـ آه.. أجل.. نسيت أنك تنقلبين إلى عكس ما أنت في منتصف الليل... حسناً جداً ستدريلا.. سأقلك إلى منزلك.

جعلت نبرته الساخرة ابتسامتها تتشتت، فقالت:

ـ سأحضر حقيبتي.

بينما كانت تجتاز الغرفة لمحت صورتها منعكسة في مرآة معلقة على الجدار، فأدهشها منظر وجهها المتورّد ولمعان عينيها غير المتوقع. بدت صغيرة لا تملك حنكة، وهذا ما لا تريد أن يراه جو. فيما هي مشغولة بتصليح ماكياجها شعرت فجأة بصمت غريب في المنزل، جعل بشرتها تقشعر، فنظرت إلى ما وراء صورة وجهها في المرآة فرأت جو يقف وراءها ينظر إليها بعينين ضيقتين ويتعابير

غامضة غير مقروءة. ولكن شيئاً ما في وقفته وتوتر عضلاته دفع معدتها للتقلص بقلق.. هل تعرّف إليها، وهل اكتشف فيها فتاة السابعة عشرة القديمة روزي؟ أم أنه ببساطة لم يسترد جأشه بعد كما ظنت؟

سمعته يتحرك قائلاً: «هل أنت جاهزة؟».

ركزت سوكي على وضع طبقة ثانية من أحمر الشفاه.. فصاح بها متوتراً:

ـ لست بحاجة لكل هذا.. فالفندق خالٍ والشوارع معتمة سوداء.

التفتت إليه تواجهه:

ـ أحاول أن أبدو دائماً على أفضل حال! فلديّ صورة عامة يجب أن أحتفظ بها.. وهذا جزء من عملي.

لم تعجبها نظرات عينيه الفولاذيتين فقد كان فيهما ما يشبه الازدراء. فوقفت على الفور تستعد للتحدي إن اضطرت.. لكنه هز كتفيه وتناول سترته، قائلاً بسخرية:

ـ تأخر الوقت وإن لم تتحرك ستدق الساعة الثانية عشرة.. وتعرفين ساعتئذ ما يصيب سندريلا. فهل أنت قادمة؟

لحقت به وأفكارها مشوشة.. فما الذي حدث ليتحول العاشق الولهان في لحظات إلى رجل بارد متباعد؟ فلقد أصبح فجأة كالقنفذ يرمي بشوكه في كل اتجاه، بطريقة لا يمكن تأويلها إلا بأنها الإحباط... ولكن التغيير السريع الذي طرأ على مزاجه جعلها في شك من أمر نجاح خطتها... فلا يبدو هذا الرجل راغباً في رؤيتها ثانية خاصة بعدما نبذته.

دام صمته طوال فترة توجههما إلى شقتها، مما أعطاها فرصة للتفكير، ولإعادة النظر في رأيها. هو دون شك ما زال متألماً من

رفضها لتوددة، فاعتداده بنفسه أصيب، وليس جو ممن يتحمل هذا بسهولة. ولكن إن قرّر عدم مقابلتها ثانية، فلن تنزعج لأنها فعلت ما تريد، وأثبتت انجذابه إليها، وبهذا أبعدت شبح الإذلال القديم عن نفسها، ودفنت روزي ابنة السابعة عشرة إلى الأبد.

كانت في أفكارها هذه قد أقنعت نفسها باستحالة وجود موعد آخر معه.. حتى صدمت حين أوقف السيارة أمام مبنى شقتها، والتفت إليها قائلاً:

- أرغب في رؤيتك مرة أخرى، غير أنني مشغول في الأيام القادمة، أما بعدها فسأكون حراً.. فما رأيك بيوم الخميس القادم؟

كانت هزة رأسها آلية. فليالي الخميس هي الليالي التي تقضيها مع آنيت حيث تتنازعان الهاتف من مكانه وتترك كل منهما شعرها مسترسلاً، طلباً للراحة التي لا يحققانها في العمل.

قالت: «أخشى أنني لن أستطيع الخميس».

أدخلت بحذر نبرة أسف في كلامها فهي تريد أن يصدق أنها تتوق لرؤيته ثانية.. لكنها لا تريد أن تبدو شديدة الشوق إلى لقائه، فمن المستحسن تعذيبه قليلاً بإبقائه بعيداً ولو لفترة قصيرة. فتشت في حقيبتها عن مفكرتها التي راحت تدرس ما فيها على ضوء مصباح الشارع ثم أردفت:

- ويوم الجمعة مليء أيضاً أما يوم السبت فلا مواعيد عندي.

- إذن السبت. سنخرج طوال النهار إلى مكان ما.. سآتي لأصطحبك في العاشرة صباحاً.

كادت تصيح، وقد أحست بموجة نوتر: لا.. أرجوك لا.. إن كنت لا تمانع! إذ كان في دعوته لمحة الأمر. دعوة يتوقع أن تطاع دون سؤال... لكن ماذا تتوقع منه غير هذا، وهو من يعمل عنده مئات الموظفين، المستعدين للقفز لدى إشارة من إصبعه لإطاعة

أوامره؟

- إذن، يوم السبت.

وأعادت مفكرتها إلى حقيبتها، وفتحت الباب:

- عمت مساء جو.. وأشكر لك دعوتك.

- من دواعي سعادتي.

لكن رده المؤدب التقليدي لم يرحْ مشاعرها المرتبكة.. وفيما هي واقفة على الرصيف تراقب الكاديلاك السوداء الأنيقة تبتعد، أدركت لماذا تحس هذا الإحساس.

لقد كانت تتوقع منه عناقاً ليتمنى لها ليلة سعيدة. وكانت قد استعدت بحذر لردة فعلها، فقد أرادت أن تتجاوب معه إنما مع شيء من البرود، فلما لم يعانقها أحست بالسخط.

هزت رأسها ببطء، فبدت الحيرة في عينيها الخضراوين.. فجو انزعج مما شعر به في وقت مبكر من السهرة.. ويبدو أنه تراجع وانطوى على نفسه، متعمداً وضع مسافة بينهما.. ولكنه على الرغم من ذلك طلب رؤيتها ثانية..

كانت خطواتها نحو منزلها بطيئة ساهمة، وكانت سعيدة لأن آنيت غير مستيقظة ولولا ذلك لفتحت بابها وسألتها عن أمسيتها، وكان عليها ساعتئذ أن تعترف أنها تحس بالحيرة في الرد.

• • •

٥ ـ تذوب تحت المطر

ـ قلت لكِ ارتدي ثياباً غير رسمية!

صباح السبت عندما فتحت سوكي له الباب لم يزعج جو نفسه حتى بالتحية العادية، فانتفضت من انتقاده الحاد وردّت بجفاء:

ـ لكن هذا غير رسمي.

مدت يديها تشير إلى السروال القطني الأبيض والكنزة الأنيقة المصنوعة من الكشمير... كانت قد قررت حين اتصل بها ليؤكد الموعد أن هذه الملابس مناسبة ولكن يبدو أن رأيه مختلف.. فقد أصبح تعبير وجهه ساخراً حالما وقع نظره على خفّها الجلدي الرقيق.

ـ أيمكنك السير في هذا؟

ـ بالطبع.! إنه مريح جداً!

كانت في سرها ترجو أن تمر هذه الكذبة بخير.. فلا يزيد الخف عن بضع رباطات رفيعة من الجلد الأبيض وهو ما تشك في القدرة على السير به مسافة طويلة. لقد كلّفها ثروة وقد أعجبها ما إن رأته، وكانت تتوق إلى مناسبة تنتعله فيها ويبدو أنه يناسب ما ترتديه اليوم.

لفتت هزة كتفيه غير المكترثة نظرها إلى ما يرتديه، وأدركت أنها لم تكن تتوقع هذه الملابس: قميصاً قطنياً سميكاً رمادياً وأزرق

ذا ياقة مفتوحة عند العنق، وسروالاً من الجينز فيما انتعل حذاء للتدريب أزرق اللون. عندئذ اعترفت سوكي بخشونة لنفسها بأن ما يرتديه مريحاً حقاً.

قال بصوت يشويه القليل من نفاذ الصبر.

ـ هل أنت جاهزة؟ إنه يوم رائع.. يُحبّذ قضاؤه خارج المنزل.

ـ أنا على أتم الاستعداد... لكنك مبكر قليلاً!

ـ بضع دقائق فقط. فالساعة تقارب العاشرة، وهذا يعني أنه كان لديك متسع من الوقت لتحضير نفسك.

أطبقت فمها بجهد على رد حاد، تقاوم غضباً يهدد بالغليان وبالخروج من فمها كالحمم الملتهبة.. أيصدق حقاً أنها ستستيقظ فجراً استعداداً مترقبة الموعد على أحرّ من الجمر، كما توحي كلماته؟ يا لعجرفة هذا الرجل!

ـ هل الطقس حارّ في الخارج؟ هل أحتاج إلى قبعة؟

ارتفع حاجباه بدهشة، وقال:

ـ قبعة! ولمَ القبعة؟

ـ لأحمي بشرتي من أشعة الشمس.

إنها دائماً ترتدي قبعة واسعة في الصيف، فهي على الرغم من اسمرارها لا تحب تأثير الشمس في وجهها.

نظر إليها متفرساً، يلاحظ المساحيق على وجهها:

ـ أنظنين حقاً أن أشعة الشمس تخترق هذا كله لتحرق بشرتك! لا أدري لماذا تضعين هذا كله؟

ـ أحب أن أظهر...

ـ بأيهى حال.. أعلم.. سبق أن شرحت لي ذلك ولكنني لا أقوى إلا على التساؤل كيف تبدين دون طلاء الحرب الذي يشبه طلاء الهنود الحمر.

كانت تقول له: أبدو شاحبة وعادية، كروزي، تلك الفتاة التي التقيتها منذ سنوات بعيدة.. ولكنها تماسكت وردت:

- تستخدم كل امرأة الماكياج لتحسن مظهرها.. لا لاستخدامه طلاء حرب كما تسميه.

- أليس هكذا؟!

قررت سوكي أن من الحكمة عدم إثارة الموضوع أكثر فاستدارت لتتناول حقيبتها، وبعد إقفال الباب، انطلقت نحو الدرج تاركة جو يتعقبها.. فما هذه ببداية ناجحة فمن المفترض أن تقنعه بانجذابها إليه عوضاً عن الصياح في وجهه كإرهابي سيء الطباع إنما ما هذه بغلطتها تماماً.. وعليه تحمل القليل من اللوم. فهو تعمد أن تكون تعليقاته مثيرة ليستفز احترام المرأة لنفسها. ولكن فلتراقب لسانها إن أرادت نجاح خطة انتقامها.. إن جو هارلو لا يستجيب لها كما توقعت.

لم تكن رحلتهما منسجمة مع خطتها أيضاً. فحين اقترح جو نزهة، تصورتها كالنزهات التي تقوم بها هي وأليس أحياناً، حيث تأخذان الدجاج والسلطة، وبعض الفاكهة، لتأكلا طعامهما خلف المنزل في الحديقة أو الحديقة العامة. لكن، حين قال جو نزهة، كان يقصد نزهة تقليدية متكاملة في الريف. مع سلة كبيرة من الطعام وبراد للشرب وبساط كبير على مرجة خضراء قرب ساقية جارية.

لو أنه أوضح نيته حين اتصل، لارتدت بطريقة مختلفة. نظرت بسخط إلى لطخات العشب والوحل على ما كان سابقاً سروالاً أبيض.

قطعا كيلومترات طويلة سيراً على القدمين بعدما أوقف السيارة، ولكنها لم تكد تسير بضعة أمتار حتى أدركت غلطتها في

انتعال الخف الأبيض، الذي راح ينسل من قدميها على الممر الوعر، الذي لا يكاد يسميه المرء ممراً.. لم يواجه جو طبعاً هذه الصعوبة، فخطواته كانت رشيقة سهلة، أما هي فوجدت صعوبة في اللحاق به على الرغم من حمله السلة والبراد والبساط.

وكان أن تنفست الصعداء بصمت حينما جلست أخيراً على البساط الذي بسطه جو على الأرض. وقد كان عليها بعيداً عن التعب الذي شعرت به بسبب خفها أن تعترف أن المكان جميل. الشمس على ظهرها دافئة، والجو مفعم بزقزقة العصافير، والساقية بخريرها العذب رائعة، وهي تشق طريقها ناثرة بعض رذاذها على الحافة الصخرية.. حين كانت سوكي أصغر سناً، كانت تخلع حذاءها وتلف ساقي سروالها، وتنزل إلى الساقية لتلعب بمائها سعيدة بتلمس برودة الماء على بشرتها. لكن هذه الأيام رحلت منذ زمن بعيد. في هذه اللحظة شعرت بغصة ندم على هذه الأيام الخالية من الهموم، فأشاحت وجهها بسرعة، تنظر بدهشة إلى أنواع الطعام التي كان جو يفرغها من السلة.

- لقد حملت طعاماً يشبع جيشاً!

- وما نفع النزهة دون طعام؟

تساءلت وهو يضيف مجموعة ممتازة من الحلوى والكيك المسيل للعاب: أيريد أن يمتحن قوة إرادتها أمام أطايب الطعام؟... أم تراه شاهد فيها ما ذكره بروزي بلاك فحاول خداعها لتكشف عن نفسها؟

تذكرت ردة فعله على العشاء الذي طلبته ليلة العرض، فوجدت نفسها تتوتر، منتظرة منه بعض التعليقات المنتقدة الساخرة، مستعدة لرد سريع لاذع إن فعل. لكنه فاجأها بالصمت، مع أن شفتيه اشتدتا حين نظر إلى طبقها. فتوترت أعصابها.. فما الذي يهمه ما تأكل؟

وكان انزعاجها من نفسها أكثر من انزعاجها منه. فطريقة أكلها شأنٌ الخاص لا شأن أحد سواها إلا ربما وكيلها.

وهكذا حين وضع جو طبقه أخيراً من يده تمتم:

- تعالي إلى هنا.

كان صوته ناعماً مقنعاً.. فوجدت أن من العفوية الدنو منه. فكان أن وضعت رأسها على كتفه، وكان أن التفّت ذراعه حول خصرها، دافئة قوية، وممتعة.. حين يكون على هذا النحو تشعر بأنها تكاد لا تتذكر سبب وجودها هنا. فبإمكانه سحر الطيور على أشجارها بابتسامته الساحرة، وبطريقته الفريدة في التحديق مباشرة إلى عينيها وكأنها شخص مميز عنده، شخص مهم بل شخص في غاية الأهمية.

ولكن، ما هذا كله إلا اخداع، بهذه الكلمة ذكّرت نفسها فلقد شاهدت ما يكفي من مثالات الفضائح الاجتماعية لتعرف أن جو هارلو نادراً ما يُشاهد دون امرأة تكون عادة جميلة وارستقراطية، أو نجمة سينما.. ومن الواضح أنه يستخدم سحره عليهن بكفاءة. ولكن ما من واحدة منهن دامت علاقتها به كثيراً... حسناً.. هذا لن يحدث لها، لأنها تريد أن تنقلب الآية هذه المرة.

مرت ساعة أو يزيد حين نظر جو إلى السماء مقطباً.

- أخشى أنّ الطقس قد بدأ يخذلنا. تنذر هذه السحب بالشر.

تبع نظر سوكي مجرى نظره، فلاحظت للمرة الأولى غيمات رمادية تتجمع حاجبة الشمس، وعندما فقط أحست أن الدفء يتلاشى من الجو، فسادت برودة واضحة قليلة الجو وجعلت سوكي تشعر بخسارة الدفء الذي كانت تنعم به مع جو.

- يستحسن جمع أغراضنا للعودة إلى السيارة.. فقد ينهمر المطر في لحظات.

كان يعيد علب الطعام إلى السلة وهو يتكلم، فسارعت إلى مساعدته، تنظر بقلق إلى السماء التي كانت الغيوم فيها تتلبد وتتلبد حتى تغير مزاجها وأصبح مماثلاً للمناخ... فقد طرّدَ سعادة هذا اليوم توترٌ متزايد ازداد كثافة بملامسة يديها يدي جو عندما كانت تساعده في توضيب السلة. تلك الملامسة الخفيفة جعلت البرد يشتد، ومعدتها تتقلص.

لم يعجبها ما تحس به، فهو يذكرها بالإثارة التي استحوذت عليها في لقائهما الأول القديم.

كانت في هذه اللحظة تشعر بأنها معرضة للخطر. حتى أنها في النهاية توقفت عن مساعدة جو، وأدارت اهتمامها إلى البساط تطويه، بحركة عدوانية قبل أن تطويه بحذر أربع طيات.

- حسناً.. هذا كل شيء.. تعالي، أظن أننا سنضطر إلى الركض للوصول إلى السيارة!

تساقطت أولى قطرات المطر وهما يتجهان إلى السيارة، فراحت سوكي أثناء الطريق تترنح مضطربة في خفها الذي لم يسعفها في اللحاق بخطوات جو الثابتة الواسعة فكان عندئذ أن وضعت حقيبتها على رأسها في محاولة عقيمة لحماية نفسها من المطر، ولكن ما هي إلا دقائق حتى تدلى شعرها حول وجهها متلبداً، فيما راح المطر يتساقط على عينيها بغزارة اضطرت معها إلى رفرفة أهدابها لترى أمامها بوضوح.

بدت الرحلة إلى السيارة طويلة لا تنتهي، لكنهما وصلا أخيراً. صعدت سوكي إلى المقعد الأمامي بسرعة، تغلق الباب متنهدة أما جو فوضع السلة والبساط في الخلف، قبل أن يتولى القيادة.

هزّ رأسه مرسلاً رذاذاً من الماء داخل السيارة:

- لقد كان المطر مفاجئاً! إنه الطقس الربيعي المثالي! لا تقلقي

فسرعان ما سيجف.. ولكن من الأجدى أن ننتظر توقف المطر قبل أن ننطلق.

لم تسمع سوكي ما كان يقول، فقد كانت تفتش حقيبتها بحثاً عن المرآة التي ما إن وجدتها حتى أطبقت يدها عليها:

- إلى أين تودين الذهاب الآن؟

- لست أدري...

وتلاشى صوتها وهي تشاهد صورتها في المرآة.. وشعرها المبلل يتدلى كأذناب الفئران حول عينيها فأسرعت تمد يدها ثانية إلى حقيبتها سعياً إلى منديل ورقي تمسح به الكحل الذي سال على وجهها.

- سوكي؟

تخللت لمسة نفاذ صبر صوته.

فنظرت إلى وجهها في المرآة ثانية.. لقد اختفت اللطخات السوداء عنه بعدما مسحتها ولكن حدث في الوقت ذاته أن اختفى سائر الماكياج حاملاً معه ثقتها بنفسها وساخراً من افتراضها أن روزي بلاك قد ذهبت إلى الأبد.. إنها بهذه الهيئة لن تتمكن من جذبه إطلاقاً. أجابت:

- أريد الذهاب إلى المنزل.

كان في صمته شر وتهديد وحينما التفتت لتنظر إليه غاص قلبها فقد رأت على وجهه تقطيبة سوداء، وفي عينيه برودة قاسية كالفولاذ. فكررت:

- أود العودة إلى المنزل.

- ولماذا يحق الشيطان؟

- أنا... شعري مبتل و...

- أدرت جهاز التدفئة، وسرعان ما يجف.

أجل.. سيجف إنما لن يعود إلى تصفيفته التي يحبها، فعندما يترك يجف على طبيعته يتحول إلى تموجات لا تستطيع السيطرة عليها، وتعود خصلاته إلى ما تعرّف إليه في لقائهما الأول.

توتر وجهها بعناد وقالت بحدة:

- أريد العودة إلى المنزل.. فأنا مبللة، وأحس بالبرد.. و...

قاطعها بغضب:

- تباً سوكي! إنها مجرد أمطار ليس إلا لذا لا داعي إلى هذه الهستيرية كلها.. فلن تذيبك!

- لم أتصرف بهستيريا! واعلم أنني لن أذوب.. إنما هذا لن يغير واقع إحساسي بالبرد وبقلة الراحة. فأنا لا أريد إلا أن أستحم بماء دافئة وأن أرتدي ثياباً جافة، وكلما أسرعنا كلما كان ذلك أفضل. لذا سأكون شاكرة لك لو شغلت هذه السيارة اللعينة، وقلتني إلى المنزل!

تصادمت في لحظات رهيبة العينان الخضراوان مع الرماديتين.. عينا جو باردتان ملؤهما التفكير، وعينا سوكي تلمعان سخطاً، وفمها يتمرد ويشتد... أخيراً هزّ كتفيه واستدار، فامتدت يده لتشغل المحرك، استعداداً للانطلاق. أما هي فكان غضبها قد بلغ درجة الغليان حتى كادت معها تفقد السيطرة على ذاتها، فقد كرهت طريقته في هز كتفه دون اكتراث، لأن تلك الحركة جعلتها تشعر بأنها لا تستحق التفكير، وهذه دون ريب طريقته في التصرف حين يقرر إنهاء علاقة ما.. البرودة والتحفظ وعدم الاكتراث بمشاعر أحد.. إنما هذا لن يحدث معها!

عندما انطلقت السيارة نظرت إلى جو نظرة عجلى ثم هزّت نفسها بقوة.. فلن يفيدها التخاصم معه الآن. فهذا سيكرجداً على علاقتهما.. وعليها إن أرادت أن يستكين إليها أن تبقى عذبة معه.

ولكن نظرة أخرى ممعنة لجانب وجهه القاسي، الذي بدا منه اشتداد عضلات فكيه، وتصلب فمه، جعلها تتساءل عما إذا كانت راغبة في الاستمرار بمشروعها أم لا. فهو يجعلها تحس بثقلة الراحة والارتباك والتشتت، كما يجعل مشاعرها تفور في داخلها وفي رأسها حتى لا تكاد تفصل أحدهما عن الآخر... ربما من الأيسر لها لو نسيت فكرتها كلها.

لا! رفضت الفكرة ما إن تكونت في رأسها. فقد تكون أيسر إنما لن تكون مرضية أبداً... فهي تريد الانتقام بسبب تلك الملاحظات الكريهة المؤلمة التي تفوه بها. تريد أن تلقنه درساً يتعلم منه أن لا سبيل إلى معاملة النساء دون الاهتمام بمشاعرهن... لكن، كي يتم لها هذا عليها أن تقيم سلاماً معه الآن. فدفعت نفسها بجهد ومدت يدها تلمس ذراعه، وتقول بنعومة:

ـ أنت تنهمني.. أليس كذلك؟ فأنت مبلل أيضاً!

لم تترك عيناه الطريق أمامه، وقال لها بجفاء:

ـ ابتللت قليلاً.. ولكنني أجف.

وهذا صحيح.. فقماش قميصه القطني يجف... وقد استطاعت الإحساس بحرارة بشرته تحته وهو إحساس بعث الاضطراب إلى نفسها، فيدها القابعة على ذراعها كانت تشعر بقوة الرجل الجالس قربها وبعرض منكبيه كما كانت تشم رائحة الرجولة المنبعثة منه حتى أحست فجأة أن المساحة داخل السيارة قد تقلصت وأصبحت ضيقة، محصورة إلى درجة الخوف. فقاومت الرغبة في انتزاع يدها عن ذراعه التي شعرت بها تلسعها وأجبرت نفسها على تركها حيث هي تمتمت:

ـ يؤسفني أن ما حدث قد أفسد نزهتنا إنما لدينا أيام أخرى.

كانت النظرة الجانبية السريعة التي رمقها بها جو غير مفهومة،

فوجهه لا ينمُّ عن شيء، حتى شعرت بقلبها ينخلع من مكانه من فكرة عدم العودة إلى رؤيته ثانية خاصة وأن كلماتها الغاضبة هي ما أفسدت مشروعها. هيأت نفسها بسرعة لإصلاح الضرر الذي أحدثته عن غير قصد.

قالت بنعومة.. أو على الأقل هذا ما أملت أن يكون تأثير كلماتها:

ـ كانت نزهة رائعة جو.. تمتعت بها حقاً.

لم يشجعها صمته المتحجر بل راحت عضلاته وهو ينعطف تشتد حتى جذب ذراعه فوقعت يدها على المقعد إلى جانبها.. فحاولت ثانية:

ـ كان الطعام ممتازاً.. يجب أن تشكر...

قاطعها بحدة يكسر صمته:

ـ لم تتناولي منه ما يجعلك تحكمين عليه!

ليس مرة أخرى! ما هذه الوسوسة التي تستولي عليه بشأن ما تأكل؟ ابتلعت الاحتجاج الحاد الذي ارتفع إلى شفتيها..

ـ ولكنني استمتعت بما أكلت! واستمتعت بيومي كله!

أدهشها ما بذلته من جهد يسير لتضع رنة إقناع في صوتها. ولكنها أدركت وهي تشعر بصدمة أنها تمتعت فعلاً بيومها.

ـ ما كان يجب أن تنتهي نزهتنا بهذه السرعة.

ما زال اهتمامه منصباً على القيادة، ولكن صوته رقَّ قليلاً وأصبح أقلّ حدة، بحيث لم تستطع سوكي كبح بسمة النصر التي لوت شفتيها.. لقد بدأت تكسب الجولة. فكادت تعيد التفكير في قرار العودة رأساً إلى المنزل.. هذا إذ كان أمامها وقت أطول للعمل. ولكنها تحسست شعرها، الذي راح يجف في دفء السيارة.. لقد بدأ يتموج ويتجعد، ويلتفّ في تموّجات تكرهها.

فقالت

ـ أنا بحاجة حقاً للدفء ولثياب جافة.

هل بدا صوتها نادماً؟ فهي تريد أن يقنعها آسفة حقاً على هذا اليوم الذي قضياه معاً، وتود لو توهمه أنها كانت ترغب في أن تمضي المزيد من الوقت برفقته... ولكن هل نجحت في هذا؟

تمت بقية الرحلة بصمت تام. صمتٌ وتر أعصابها وجعل أصابعها مشدودة في قبضة يدها حتى كادت أظافرها تحفر راحة يدها. عندما أصبح أمام بيتها قال:

ـ ها أنت، وصلت إلى بيتك سالمة جافة.

لم تستطع إلا أن تشعر بالسخرية المقصودة في صوته... كانت سترتها وسروالها قد جفا تقريباً... وكانت الشمس كعادتها في فصل الربيع، قد أشرقت مرة أخرى، وأصبحت أشد حرارة وإشراقاً.

بدا لها صدى أصابع جو، التي كانت تنقر على المقود مرتفعاً بشكل غير طبيعي، ومهدداً بطريقة ما.

ـ شكراً لك مرة أخرى على هذه النزهة الرائعة.

ـ يسرني ذلك.

أحست للمرة الثانية أن الجملة التقليدية المؤدبة تخبىء وراءها أشياء أخرى... فماذا في رأسه بالضبط؟ أيريد رؤيتها ثانية، أم أنها نسفت كل شيء؟ جلست تنتظر ولكنها تجهل ما تنتظر... فهو لم يتحرك ليجذبها إلى ذراعيه ضامّاً إياها مودعاً. بل بدا متحفظاً مبتعداً، أفكاره في جهة أخرى... قاومت اندفاعاً لتستدير نحوه وتسأله ما خطبه بالضبط... ولكنها عوضاً عن ذلك أسرعت تفتح الباب وتخرج:

ـ وداعاً جو.

جعل التوتر والانزعاج اللذين ولدهما القلق وعدم الثقة بنفسها صوتها متكبراً بارداً...

رفع جو يده بتحية صامتة وقبل أن تتراجع، انطلق بالسيارة مبتعداً تاركاً سوكي تشتعل غضباً.

تمتمت بغضب لنفسها:

ـ تباً لهذا الرجل!

لم يقل لها وداعاً حتى! وهذا كثير بالنسبة لخطتها القاضية لإيقاع به، وقلب الطاولة في وجهه. لا بأس... لديها ما يشغل وقتها عدا إضاعته في اللعب مع رجل مغرور لا يولي مشاعر الناس اهتماماً... وليس عليها إلا التخلص منه. ولكن فكرة التخلص منه جعلت قلبها يغور وأشعرتها بفراغ داخل معدتها وهو فراغ ولده انهيار خطة انتقامها، لا أكثر ولا أقل. أم هناك سبب آخر يا ترى؟...

ساعد الحمام الساخن سوكي في استعادة رباطة جأشها وكانت قد مكثت في الحمام ما استطاعت متنعمة بالمياه المعطرة شاعرة عضلاتها المتوترة تسترخي تاركة التشوش في دماغها ينحل ويتحلل حتى شعرت بالانتعاش، بل بالهدوء... ما أشد راحتها بخروج جو من حياتها... إلى الأبد. فالتوتر الذي بتنابها للمحافظة على تظاهرها بالإعجاب به، هو المسؤول عن الجفاء الذي كان يستحوذ عليها عندما تكون برفقته.

ولكن، لم يكن ما تحس به جميعه توتراً! تجمدت يدها على المنشفة التي تجفف نفسها بها، فقد تذكرت السهولة التي تعاطت بها مع جو خلال عشاء الأسبوع الماضي، وخلال اليوم أيضاً، قبل عاصفة المطر الربيعية التي أفسدت عليهما الأمور... فلقد تمتعت بهذه الأوقات، وتجاوبت بسهولة مع ذكاء جو وحديثه الطلب...

إنما هذا لا يعني أنها ستندم على انتهاء العلاقة

لقد كان فاتناً بارعاً، ومضيفاً رائعاً، رقيقاً دمثاً، ولكن وراء هذه الواجهة الاجتماعية رجلاً متعجرفاً أنانياً... راحت تشد المنشفة بخشونة على جسدها فقد أرادت أن تتاح لها فرصة تذله بها قبلاً ليشعر بطعم النبذ لأول مرة في حياته

كانت مرتدية سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً خفيفاً حينما قرع الباب، فتوقفت عن تمشيط شعرها، الذي عاد إلى تموجه المعتاد وكأنه قبعة ملتمعة حول وجهها.

ترى من الطارق؟ جاء سؤالها بصوت مرتفع. فنظرت إلى صورتها في المرآة عابسة بحيرة. كان الوجه الذي بدا لها في المرآة خالياً من الماكياج، وجنتاه ناعمتان ورديتان متألقتان... حتى تكاد تبدو فتاة في الخامسة عشرة من عمرها... انتفضت عندما قرع الجرس ثانية.

ـ حسناً.. حسناً.. أنا قادمة!

راحت تكلم القادم المجهول وهي تتجه إلى الباب. إذ أنيت غير موجودة في شقتها ولولا ذلك لفتحت الباب.

لمحت سوكي من خلال منظار الباب الصغير شخص أسود الشعر، ولكن تلك اللمحة فشلت في أن تمنع عنها الصدمة فقد كان جو هو الواقف في الباب أمامها

ـ أوه!

قفز قلبها بعنف وارتدت إلى الوراء يد لترتفع إلى وجهها، لم اتسعت عيناها من الذهول. أحست بصدمة، وكأنها اصطدمت بجدار صلب..

ـ مر.. مرحباً! (قالت سوكي)

تزايد إحساسها بالارتباك عندما رأت عينيه اللتين أسودتا

يتجولان فوق وجهها، وتضيقان بسرعة استجابة لدهشتها، ثم تحققان عن نية وقصد وكأنهما لم ترد هذه المرأة الواقفة من قبل.

كانت هذه الفكرة، مجتمعة مع إمعانه النظر فيها، السبب في اضطراب قلبها الذي خفق بجنون حتى جعل كلماتها تخرج شهيقاً.

مد يده إلى جيبه ليخرج ساعة ذهبية رقيقة

ـ تركت هذه في سيارتي... ففكرت أنك قد تحتاجين إليها، تحتاجينها.

لم تترك نظرته وجهها لحظة، فتوترت فجأة لأنها شعرت به قادراً على اختراق عمق عينيها وصولاً إلى عقلها... خاصة وأنها ليست في أفضل حال. قفزت أفكارها عائدة إلى صورتها التي شاهدتها في المرآة... هل كانت تشبه زوزي؟ هل سيتعرف إليها بسبب هذا حقتها إلى الأبد؟

ـ هذا... يحدث دائماً

تعثرت الكلمات وهي تنطق بها، وثَقُل لسانها.

ـ يبدو أن قفلها متبدل... من الأفضل أن أصلحه... شكراً لك على إعادتها

ـ ما من مشكلة

لهجته مستخفة ومؤدبة، لكن في عمق عينيه نظرة لم تتمكن من تفسيرها. شاهدتها ثم اختفت حتى قبل أن تحاول تفسيرها. واكمل

ـ لم يكن لدي ما يشغلني.

لم يكن لديه ما يشغله... أحست بتوتر يسري في جسدها، وبغضب يزيل آخر آثار الصدمة التي أحدثها ظهوره المباغت. سجل عقلها بشكل آلي جاذبية الرجل القوي صاحب العينين الرماديتين العميقتين والشعر الأسود اللمّاع. إنه رجل تفخر به أية امرأة

اختبرت رغبة قلقة في أن تهرع إلى الداخل لتبدل الجينز القديم ولتضع الماكياج على وجهها... لقد ضبطها في وقت ووضع غير ملائمين... وهذا ما لا تريد أن تشعر به مع هذا الرجل.

- أنا...

- سوكي

جاء كلامها المفاجىء، وذكره اسمها في آنٍ واحد، فصمتا ووقفا يتبادلان النظرات. ولكن قبل أن يمتد الصمت ليصبح غير مريح أتاهما نداء مرح من الشارع. فقد كانت آنيت تتقدم منهما حاملة عدة أكياس من المشتريات فابتسمت بإشراق لهما:

- مرحباً! عدتما باكراً؟ أجبركما المطر على الرحيل؟

عبست سوكي وهي ترى حاجبا صديقتها يرتفعان عجباً لخلو وجهها من الماكياج ولافتقار مظهرها إلى الأناقة. لم تكن بحاجة لرد فعل آنيت لتزداد إحساسها بأنها ليست في الصورة التي ترغب أن يراها فيها جو هارلو.

- باغتنا المطر القوي، فاضطررنا للعودة.

أبقت عينيها على آنيت، خائفة فجأة من النظر إلى جو. وأكملت:

- نسيت ساعتي في سيارته -أعادها إليّ.

- حسناً... أتحرق شوقاً إلى فنجان قهوة... أتنضمان لي؟

كانت دعوتها تشمل جو، فلعنت سوكي في سرّها صديقتها على كرمها العفوي. فهي ما عادت تقدر على تحمل رفقته المقلقة، بل تحتاج إلى بعض الوقت لتستجمع رباطة جأشها، ولتظهر بمظهر آخر، وعندئذ ربما تستطيع مواجهته بثقة أكبر. سمعت رفضه المؤدب:

- أخشى أنني مضطر للعودة. ربما في وقت آخر.

حامت كلماته متزامنة مع نظرة ممعنة أخرى إلى سوكي.

أكان عليه أن يذهب حقاً، أم تراه هو أيضاً غير تائق إلى قضاء المزيد من الوقت «برفقتها»؟ وهل يعني بقوله «في وقت آخر» أن هناك موعداً آخر؟ أيلمّح إلى أنه قد يرحب بلقاء ثان؟ دفعها عدم علمها بما يعنيه إلى أن تسرع إلى الخلف لتسمح لآنيت بالدخول ثم عند ذلك التفتت إلى باب شقة صديقتها وكأنها تستجيب لدعوتها.

قالت:

- وداعاً جو، وشكراً مرة أخرى على إرجاع الساعة.

والتفتت إلى آنيت:

- هاتي.. فلأحمل معك هذه الأكياس.

لم تزّ سوكي في لحظة انشغالها بحمل كيسين جو وهو يغادر، ولكنها سمعت هدير سيارته المنطلقة وصوت محركها وشعرت بها صيحة غضب ساخط.

انهارت آنيت على مقعد وخلعت حذاءها رفساً.

- إذن... هذا هو جو هارلو السيء السمعة! إنه رائع يا طفلتي! كاد يغمى عليّ حين فتحت الباب له هذا الصباح. استحوذت عليّ رغبة في أن أقول له إنك غير موجودة هنا لأغويه على اصطحابي. إنه رجل مذهل!

- قلت لك إنه بهي الطلعة! إنما ليس المهم ما يغلف المرء... بل ما في داخله... وفي داخل جو هارلو مخلوق متعجرف أناني، لا يفكر إلا في نفسه.

بدت الخيبة على آنيت:

- لكن يجب أن أقول إن هذا مؤسف جداً... أما زلتِ مصممة على فكرة تحطيم غروره؟

كادت سوكي تقول: أشك في أن تتاح لي الفرصة... ولكنها

فراشة الخيبة

ترددت حينما تذكرت وجه جو وهو يلفظ اسمها.. فقد لانت للحظة واحدة تعابير وجهه، وأصبح في عينيه الرماديتين دفء ولمعان غير متوقع.. أرسلت هذه الذكرى موجة احمرار إلى خديها.. ماذا كان سيقول ساعتئذ؟ ترى ما الذي كان سيقوله لولا مقاطعة آنيت التي وصلت في وقت غير مناسب؟ أكان سيطلب منها اللقاء مجدداً؟ ولو طلب فهم كانت ستجيبه؟

قالت ببطء، ترد على نفسها أكثر من ردها على سؤال آنيت:

ـ لا أدري.. وحتى أقول الحقيقة آنيت.. أنا لا أدري أبداً.

* * *

٦ ـ سندريلا واليقطينة

كانت سوكي في المطبخ تضع اللمسات الأخيرة على الوجبة التي ستشاركها فيها آنيت، حين رنّ جرس الهاتف. فصاحت آنيت من غرفة الجلوس:

ـ سأرد عليه بنفسي!

سمعت صوت السماعة ترتفع وصوت صديقتها يعطي الرقم. ثم:

ـ أجل.. إنها هنا.. لحظة من فضلك.. سوكي!

لوّحت آنيت بالسماعة عالياً حين أطلت سوكي من الباب، وتمتمت هامسة:

ـ إنه هو!

هو.. قفز قلب سوكي بعنف وهي تقطع المسافة لتتناول السماعة.. ثمة شخص واحد قد تصفه آنيت بهذا التركيز على لفظة هو. لكن لماذا يتصل بها الآن؟

لقد مضى أسبوع على نزهتهما وهي منذ ذلك الحين لم تتلقَ منه كلمة حتى وصلت إلى مرحلة امتنعت فيها عن التساؤل عما إذا كان سيتصل بها أم لا.

ـ ألو!

جعل الارتباك صوتها يهتز ولكن صوته كان على العكس تماماً

www.liilas.com

ثابتاً واثقاً كعادته

- سوكي! مرحباً.. كيف حالك؟

وقبل أن ينتظر الرد أضاف:

- تساءلت عما إذا كان وقتك شاغراً يوم الجمعة

- لست واثقة.. لماذا؟

- كنت أحدث تشايس منذ قليل.. أتذكرينه إنه صهري؟

- أوه أجل.. أذكره.

- إذن أنت تذكرين أنه دعانا إلى العشاء.. فإن شئت أن تتعرفي إلى جاين أختي نلتقي الجمعة مساءً.

- دعانا؟

استحوذ الغضب على سوكي من هذه الكلمات المتعجرفة المستبدة فهو لم يتعنَّ على الأقل تقديم الاعتذار على عدم اتصاله بها قبل الآن بل لم يتنازل فيسألها إن كانت «ترغب في المجيء». بدأت تقول:

- لا أظن..

ثم لجمت نفسها بحدة، فقد حدث أن وضعت خطة انتقامها على الرفّ عندما فقد جو اهتمامه بها، ولكن هذه الرغبة عادت تطفو في ذهنها.. ستذهب.. وليحدث ما يحدث! ليس لديها ما تفعله تلك الليلة، وعليها أن تعترف لنفسها أن صمت جو بعث السخط في نفسها وأشعرها بالإحباط لأنها رأت أنها قد خسرت فرصة الانتقام. والآن، ودون أن يدري يعرض عليها فرصة أخرى.. أردفت بسرعة:

- اسمع، أيمكن أن تنتظر قليلاً حتى أنظر إلى مفكرتي؟

وضعت السماعة من يدها على الطاولة واستدارت إلى آنيت، التي كانت تصغي إلى حديثهما دون خجل، والفضول غير خفيّ على

وجهها.

- حسناً؟

- يريدني أن أتعشى معه ومع شقيقته وزوجها.

بدت آنيت وكأنها على وشك الإغراق في ضحكات هستيرية:

- تقابلين العائلة هه؟ ما يصدمني أن السيد هارلو جاد.. فهل ستذهبين؟

قطبت سوكي مفكرة:

- لا أدري

أصحيح أن جو «جاد» كما قالت آنيت؟ إن كلامه عن «دعوتهم» يشير إلى أنه يفكر في أنهما «زوج» ودعوتها لمقابلة العائلة دلالة على أنه مهتمٌ بها. وهذا أفضل لها.. فلن تضطر إذن للانتظار كثيراً قبل تنفيذ خطتها.. فسألت:

- هل أذهب؟

كانت بسمة آنيت عريضة متآمرة، فحثتها قائلة:

- اذهبي!

وابتسمت سوكي استجابة ملتقطة السماعة:

- جو..؟ وجدت أنه ليس لديّ ما يشغلني يوم الجمعة.

* * *

لم تكن جاين راسدي كما تصورتها سوكي.. فهي لا تملك طول أخيها بل هي أقصر من سوكي بعشرة سنتيمترات على الأقل وشعرها أفتح بكثير من شعره، وعيناها أفتح أيضاً. في الواقع أن سوكي ولويس يبدوان شقيقين حقيقيين أكثر من هذين الاثنين...

لم تكن جاين تضع الماكياج على وجهها ولم تكن مهتمة بشعرها الذي تركته يسترسل طويلاً حتى منتصف ظهرها بحيث أغرق

وجهها، وسلب منها بعض جمالها الطبيعي. . . كانت امرأة جميلة بالفعل بل يمكن أن تكون فاتنة لو صففت شعرها بطريقة مختلفة واستخدمت ماكياجها بطريقة دقيقة. . . لكن يبدو أنها لا تعرف كيف تحسّن مظهرها. . وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل زوجها يتحدث عن امرأة أخرى. ولكن بإمكان جاين أن تصبح امرأة قادرة على أسر نظرات أي رجل ومنعها من التجوال بعيداً.

ـ سوكي؟

كسر صوت جو استغراقها في تفكيرها وجعلها تسترد وعيها بسرعة، فالتفتت مبتسمة:

ـ آسفة. . سرحت بعيداً. ماذا قلت؟

ـ تقول جاين إن الجميع يعتقد أن مهنة عرض الأزياء مهنة ساحرة. . ولكن بعدما قلته عنها رأيت أنها على عكس ذلك تماماً.

التفتت سوكي ترد على تعليقات مضيفتها مباشرة.

ـ أوه. . صحيح. يعتقد من يشاهد الصور في المجلات أن الأمر لا يتعدى ارتداء الثوب والوقوف أمام الكاميرا. . فليس لدى الناس فكرة عن المتاعب التي نواجهها حتى يتم العمل على ما يرام. ففي بعض الأحيان عليك الظهور بمظهر السعادة الغامرة وأنت في الواقع تشعرين بألم في رأسك أو بثقل في قدمك.

ـ أستطيع تصور هذا.

ابتسامة جاين حلوة لطيفة. . فكيف لتشابس أن يفكر في امرأة أخرى؟ التفتت سوكي إلى حيث يجلس زوجها في الطرف الآخر من الطاولة أنيقاً في بذلة كحلية وقميص أبيض. .

قرأت أن تشابس راندي من جنس جو هارلو، ألهذا السبب بالذات تزوجته جاين. . يبدو واضحاً أنها مفرطة في تعلقها بأخيها الأكبر. . فبينها وبين أخيها ما يقارب العشر سنوات. .

وكان واضحاً كذلك أن جو مولع بأخته، وهذه نقطة لصالحه. كان يعاملها بحنان ولطف فبدا مختلفاً عن الديناميكي المفعم بالحيوية الذي شهدتها فيه، ولكنها لم تتمالك نفسها عن التساؤل عما إذا كان هذا الإعجاب سيتغير إن عرفت كيف ضحك هذا الأخ حين أشار زوجها بيديه تلك الإشارة الفظة. قالت جاين:

ـ هل نتناول قهوتنا في غرفة الجلوس؟ سوكي. . هل أنت واثقة من أنك أكلت ما يكفي؟ فأنت. . .

سارعت تقاطعها:

ـ بل تناولت الكثير، وكان الطعام لذيذاً. . أنت طاهية ممتازة.

ردت جاين بصوت منخفض:

ـ لأنني أحب الطبخ. وهذا أفضل، فتشابس يأكل كالحصان. وأخي الأكبر. . حسناً. . فأشك في أنه قادر على ملء بطنه، فهو يحرق ما يأكل في دوامة العمل في عمله. وهذا يحدث لك أيضاً.

ـ أنا أتمرّن أيضاً.

ـ أتركضين مثل جو؟ إنه يركض أميالاً يومياً دون هوادة.

انتقلت عينا سوكي إلى جو. . إذن بهذه الطريقة يحافظ على رشاقته. عادت تجبر نفسها على الرد على سؤال جاين:

ـ لا. . فأنا ملتزمة بنظام الأيروبيك لأحافظ على رشاقتي. أذهب إلى النادي مرتين في الأسبوع وأتمرّن في البيت في سائر الأيام.

قالت جاين:

ـ أفكر أحياناً في الذهاب إلى نادٍ للتمرين. . . لكن. .

قاطعتها سوكي بحزم:

ـ على الجميع أن يتمرن، فليس لنا سوى جسد واحد، ونَدين له بالمحافظة عليه في أحسن حال.

التقطت أثناء الصمت القصير الذي تلا كلماتها نظرة متبادلة بين الأخ والزوج، بعدها تقدم جو ليحتضن شقيقته:

- أنت رائعة كما أنت جاين.

في صوته ما جذب انتباهها إلى وجهه، فشعرت بالاضطراب من لمعان الغضب الذي استعر بارداً في عينيه قبل أن يعود لينظر إلى شقيقته وابتسامة تغطي وجهه:

- نحن نحبك على ما أنت عليه.

نحن نحبك؟ كبحت سوكي بعنف الضحكة الساخرة التي كادت تنسل منها، ونظرت إلى تلك البسمة الحنون بانتقاد مشمئز. إذا كان متعلقاً بجاين إلى هذه الدرجة فلماذا ضحك بتلك الطريقة عند وصف امرأة أخرى؟ مالت في أعماقها إلى تلقينه درساً لن ينساه. انتظر فقط جويل هارلو.. انتظر ترَ ما لن يسرك.

أعلن جو بعد فترة:

- آسف جاين، علينا الذهاب.

لكن الوقت ما زال باكراً بالنسبة لسوكي التي كانت تتمتع بحديثها مع جاين الودود والهادئة. سبقت جاين احتجاج سوكي.

- باكراً هكذا؟ الساعة لم تبلغ الحادية عشرة والنصف.

- على سوكي أن تنام باكراً حفاظاً على جمالها. فلديها يوم عمل شاق غداً.

اعترفت سوكي لنفسها أنها علقت في فخها الخاص. فقد تذكرت مهمة التصوير التي اخترعتها أثناء مجيئهما بالسيارة إلى هنا. فقد أرادت أن يبقى جو معلقاً كما أرادت أن تلعب معه لعبة المرأة الصعبة المنال لئلا يفقد اهتمامه بها بسرعة. وهذا ما قد يحدث إن كانت متوفرة له كلما أراد. ولكن لعبتها انقلبت عليها الآن فاستغلها جو بحيث لم تستطع سوى أن تهز رأسها بموافقة صامتة. قالت لها

جاين حين ذهب تشايس لإحضار سترة سوكي:

- لقد تمتعت بهذه الأمسية.. يجب أن تدفعي جو إلى إحضارك ثانية إلى هنا.

- أحب ذلك.

لقد أعجبت بجاين، إنما ما هو ردة فعل جاين حين تتم سوكي حديثها؟ فبما أنها مولعة بشخصية أخيها فستشعر بالغضب من شخص يعامله تلك المعاملة التي ستقدم عليها. وهذا أمر مؤسف جداً، لأن جاين امرأة تحب أن تتخذ من سوكي صديقة.

- ربما توافقين على زيارتي يوماً حين تكونين في المدينة.

سلمت الدعوة من سوكي قبل أن تفكر في صحتها، ومع ذلك أردفت:

- اتصلي بي لتتأكدي من وجودي في المنزل... فستسرني زيارتك كثيراً.

وربما تتمكن ساعتئذ من مساعدتها بتقديم بضع نصائح تتعلق بالماكياج وبتصفيف الشعر وبأمور أخرى قد تمنع عيني تشايس عن التجول بعيداً.

صاحت سوكي بجو وهما في السيارة:

- أكان يجب أن تجرني باكراً هكذا؟

- ألست القائلة إنه عليك أن تكوني في الفراش قبل منتصف الليل ستدريلا!

أصمتها رده الناعم وجعلها تحس أن الأرض مادت فجأة تحت قدميها.

لم ينعدم هدير محرك الكاديلاك نهائياً حين أوقفها أمام البناية التي تقع فيها شقتها. التفتت إليه بعدما فكّت حزامها:

- لا أعتقدك معارضاً إن امتنعت عن دعوتك إلى شقتي لزيارة

ربع ساعة فقط لا تستحق عناء تعبك

ارتفع حاجبه بسخرية ثم سألها مستفسراً:

ـ أخبريني.. ماذا يحدث لك بالضبط في منتصف الليل؟ هل تتحولين إلى بقطينة؟

ابتسمت غضباً:

ـ أحتاج للنوم.

ـ هذا ما تقولينه أنت.. ألا تخالفين أبداً هذا النظام القاسي الذي فرضته على نفسك؟ فيحق لمطلق إنسان التمتع بحياته بعض الوقت.

ـ لكنني تمتعت الليلة!

ردّ بنفاذ صبر:

ـ بالطبع! وستتمتعين أكثر إذا لم تحسي الوحدات الحرارية التي تتناولينها أو تتفحصي ذلك القناع اللعين الذي تضعينه على وجهك.

ـ أي قناع؟

ـ طلاء الحرب الذي تغطين به وجهك.. أف يا امرأة.. ألست قادرة على المرور بمرآة دون النظر إلى نفسك فيها!

تعالى غضب سوكي من ازدرائه القارص.

ـ أتفضل لو كنت مثل جاين، أفتقر إلى الأناقة والمظهر الحسن؟

ندمت على ما قالته ما إن تفوهت بتلك الكلمات.. واجتاحها إحساس بالذنب بسبب الظلم الذي أوقعته بجاين. ماذا في جو هذا حتى أظهر دائماً أسوأ جانب في شخصيتي؟ جعلتها نظرة واحدة إلى وجهه تتراجع عن محاولة تسوية غلطها فقد كان الغضب أسود في عينيه حين قال بحدة ساخرة:

ـ إن جاين على الأقل حقيقية! تترك الناس يرونها على ما هي عليه دون الاختباء وراء طبقة من الطلاء.

دمّرت كلماته القريبة من الحقيقة قدرتها في السيطرة على صوتها.

ـ أنا لا أختبىء!

ـ ألا تختبئين؟ أخبريني إذن عن سبب قلقك ذاك عندما رددت إليك ساعتك؟ كنت غير قادرة على التفوه بكلمتين مفهومتين معاً.. وما هذا إلا لأنك كنت تخشين أن أرى وجهك الحقيقي!

ـ أوه.. ها أنت تقول السخافات!

لو يعرف الحقيقة! أحست أنها تُجرّ في اتجاهين في وقت واحد. فلم تكن تعرف ما إذا كان عليها أن تحس بالراحة لأنه لم يعرف أن مرة قلقها عائد إلى خوفها من خروجه من حياتها الذي سيؤدي إلى دمار انتقامها أم عليها أن تغضب من عزو نصرفها ذاك إلى أسباب تافهة.

ـ لم أكن أتوقع عودتك.. هذا كل شيء. لقد فاجأتني.

صدمها بسؤاله:

ـ وما نوع المفاجأة؟ هل رغبت في عودتي؟

أوه.. كيف لها أن تجيب عن هذا؟ لم يتبادر أي رد إلى ذهنها.. تعرف أن عليها أن تجيب بـ «نعم» إذا أرادت التشبث بخطتها.. ولكن إن قالت الحقيقة...

غمر أفكارها تشويش مطبق.. ما هي الحقيقة؟ قبل فترة قصيرة، كانت قادرة على أن تقول إن آخر ما تريده في حياتها هو وجوده المقلق... ولكن الأمور ما عادت سهلة في الوقت الحالي.. فلقد وجدت معه إن لم تقل المتعة برفقته، فالإثارة والتسلية. فهو يطلق حوله طاقة يستحيل عليها إنكارها، ففي تلك

الأيام التي امتنع عن الاتصال بها تغلب عليها إحساس بالملل قاتل. فما كان أشدّ سعادتها عندما أعدت نفسها لهذه السهرة... ولكن سبب سعادتها هذه يعود إلى اقترابها خطوة من هدفها، ولا شيء غيره.

سألها بتصميم:

- حسناً.. ما هو ردك سوكي؟ أتريدين متابعة هذه العلاقة أم إيقافها حالاً ليمضي كل منا في حال سبيله؟

- لا..

خرجت الكلمة منها لا إرادياً فلقد بلغت إلى ما وصلت إليه، ومن غير المجدي التراجع الآن.. ستكون خسارة لما حققته:

- أريد أن أراك ثانية جو.. أريد حقاً ذلك.

وجدت أن تلاقي عيونهما محنة حقيقية لها لأنها فقدت الثقة بالنفس ولأن مشاعرها المشوشة بادية في وجهها...

واجه تصريحها بابتسامة نصر صغيرة، فقد كان يتوقع موافقتها.

تباً لهذا الرجل! أحست باندفاع متهور إلى سحب كلماتها للرد عليه بكلمات مختلفة تصرّح له فيها أنه مغرور ومتعجرف! فهو لم يصدق يوماً أنها قد ترفض مقابلته ثانية... حسناً سوف تبدد أوهامه.. وكلما أسرعت كلما كان هذا أفضل لها.

- إذن سأتصل بك خلال الأسبوع، لنتفق على شيء.

طعنها إحساس حاد بالاستياء كالخنجر، ولكن عليها أن تبذل ما في وسعها من جهد إن كانت تأمل في إيقاعه بشرك عميق. جعلتها هذه الفكرة تلتفت إليه:

- لم أقصد ما قلته عن جاين. أنا آسفة.

لم تكن مضطرة إلى إدخال لهجة الصدق إلى صوتها لأنها كانت حقاً آسفة وخجلى من كلامها. تقبل جو الاعتذار بهزة رأس

خفيفة. قال بجفاء:

- لم تقصدي ما قلته بالطبع.

وكان عليها بذل جهد مميز لتجاهل سخريته.

- أرجوك قل لها إنني تمتعت بأمسيتي حقاً.

ولكي تزيد من تأثير كلماتها قبّه، رفعت يدها فلمست خده ثم نظرت إلى عمق عينيه:

- تمتعت بها حقاً.. جو.

ازدادت عتمة عينيه حتى كادتا تصبحان سوداوين ثم تحركت يداه بسرعة لتطبقا على كتفيها ليشدها إليه. كان عناقه رقيقاً، بطيئاً، حلواً بحيث لم تجد سوكي صعوبة في التجاوب. أحست بروحها ترتفع ويقلبها يغني فتركت نفسها تلين بين ذراعيه، واقتربت منه أكثر لتشبع نفسها من رائحة عطره الفوّاحة.

أحست بضربات غريبة في أذنيها، علمت فجأة أنها لقلبها. كانت تلك الخفقات تضجُّ صاخبة تجاوباً مع دقات قلبه التي أرسلت الدم سريعاً إلى كافة عروقها والتي جعلتها تحسُّ بالنار تكاد تحرقها.

همس صوته الأجش في أذنها:

- سوكي.. سوكي يا حلوتي.. فلندخل إلى الشقة.

سرعان ما استحوذ عليها ما يشبه الذعر... فهي لم تشأ أن يحدث هذا! ولكن الأمور تجري بسرعة كبيرة بالنسبة لها خاصة وأنها تستجيب له بطريقة تعجز معها عن السيطرة على نفسها. تصلبت بين ذراعيه، تحاول بذعر التفكير في أفضل طريقة تنهي بها الموقف الذي سيخرج من يدها. فجأة سمعت دقات ساعة كنيسة بعيدة، فبدأت تعد الضربات.. واحد.. اثنان.. ثلاثة..

- عشرة، إحدى عشرة، اثنتا عشرة...

فتمتم ساخراً:

ـ منتصف الليل، وما زلت في الخارج دون أن يحدث لك شيء رهيب. لم تتحولي إلى بقطينة.. أو إلى فأر كما تقول القصة؟ أذكر جيداً...

فكرت سوكي ضمناً أن نكتة سندريلا أصبحت سخيفة. ولكن ابتلعت كلماتها اللاذعة، واستجمعت خيوط نفسها المشتتة لتبدو بيرود:

ـ لا هذا ولا ذاك.

أدهشتها برودتها وقدرتها على الكلام خاصة وأن فمها جاف وقلبها داوٍ بشكل عنيف... أحست بألم غير مريح في داخلها بعد ما تلاشت الإثارة التي ولدتها لمسات جو، تلك اللمسات التي تركت وراءها إحساساً شديداً بالخسارة.

كيف فعل هذا بها؟ لماذا تتصرف على هذا النحو مع شخص لا تحبه؟ علماً أن رجالاً أوسم منه عجزوا عن التأثير فيها أقل تأثير؟ إن هذا دون ريب أمر آلي.. فهو خبير بعالم العواطف يعرف ما يفعل وكيف يتحرك. وهي أمامه مراهقة ساذجة تتجاوب معه بغباء. لقد لمس جو فيها وتراً حساساً لم تكن تعرف أنه موجود فيها. ولكن هذا كله ليس إلا تأثير جسدي لا علاقة له بالمشاعر والعواطف.

وضعت على وجهها ابتسامة مشرقة، ونظرت إليه:

ـ إنها العربة التي انقلبت إلى بقطينة، والجياد إلى فئران.. أما الحوذي فكان جرذاً كبيراً.

ركزت على كلمة «جرذ كبير» بخبث.

لم تكن فهقهته المرتفعة متوقعة فاعترفت سوكي بروعتها في صمت الليل.

ـ إذن، هذا هو رأيك بي... إنه ليس رأياً غزلياً!

وتركها، فأسندت ظهرها إلى مقعدها، وارتفعت يديها تملس شعرها الذي بعثرته يداه.

عاد ليسأل بصوت مختلف فيه خشونة تضفي على السؤال ما يشبه التوسل:

ـ أهكذا تريني؟

وصممت على تجاهله، ورددت في نفسها: أجل أنت جرذ قذر جو هارلو.. جرذ منتف ذو حنكة ربما ولكنك على أية حال جرذ شرير فاسد، بغيض، ولا يمكن الثقة بك أبداً...

لكنها قالت له:

ـ لا أدري ما هو رأيي بك، امنحني بعض الوقت لأتعرف إليك وعندئذ سأتمكن من الرد عليك.

أقالت هذا حقاً؟

رد جو بنعومة:

ـ الوقت؟ حسناً يا حلوتي سوكي.. سأمنحك الوقت... إنما لا تسترسلي كثيراً فما أنا برجل صبور، فعندما أريد شيئاً أتوجه إليه مباشرة دون أن أترك شيئاً ما يقف في طريقي!

راحت كلماته، بعد وقت طويل من لجوئها إلى السرير، تتردد في رأسها وتتردد حتى عجزت عن النوم فأخذت تحدق في الظلام وهي تفكر في ذلك التصريح الجليّ المعاني... إنه يريدها... وهذا ما يجب أن يجلب لها بسمة النصر والرضا، لأنها على الطريق الصحيح. إنما تركها هذا في الوقت نفسه تتساءل إذا كانت قد قضمت قضمة تفوق طاقتها... وهذا الإدراك والقلق لم يجلب لها راحة البال أو الاسترخاء، حتى بعدما غطت في النوم.

* * *

٧ ـ غريبة في كوخه

فتحت سوكي الباب على مصراعيه وبسمة ترحيب تملو وجهها:

ـ ادخلي جاين... ما أروع رؤيتك ثانية. كنت أعدّ القهوة. أتحبين فنجاناً منها أم تراك ما زلت ممتنعة عنها؟

أصبحت بسمتها إشفاقاً عندما كشّرت جاين وهزت أنفها باشمئزاز:

ـ ما تزال تشعرني بالغثيان. أمر غريب.. أليس كذلك؟ كنت معتادة على احتساء جرعات هائلة منها... ولكنني الآن..

ـ لا بأس عليك.. لن يدوم هذا طويلاً، كم من الوقت أمامك حتى الولادة؟

ـ أربعة أشهر ونصف وهي تبدو لي أبدية، فما زال الغثيان يتابعني صباحاً وما زلت أشعر بالكسل طوال الوقت. وهذا الطقس الذي تشتد فيه الحرارة لا يساعدني... الشكر لله لأنه سيبرد ما إن يبلغ حملي أوجه.

ـ هذا مؤكد في أيلول. أتفضلين إذن عصير برتقال طازج؟

ـ رائع! هذا ما أحتاج إليه بالضبط.. أتعرفين؟ بدأ حملي يظهر فقد ظننت في البدء أنني واهمة.

ـ أعرف هذا.. وما كنت لأعرف بأمر حملك لولا قولك إنني حامل.

اتجهت سوكي إلى المطبخ، أما جاين فقاصت متنهدة في مقعد ذي ذراعين تلمس بطنها بلطف.

لم تشك سوكي في أن جاين حامل وها هي تتذكر المرة الأولى التي زارتها فيها شقيقة جو... يومذاك كان حديثهما طويلاً شعرت من خلاله بالانسجام الكلي مع هذه المرأة الرقيقة ثم لم تلبث علاقتهما أن انقلبت إلى صداقة مكشوفة، فسرّت سوكي بذلك. في لقائهما الأول أفضت لها جاين بالخبر.. فبعد محاولات وعلاجات طويلة وخيبات أمل عديدة حملت في أحشائها جنيناً.

في ذاك اليوم أحست سوكي بالبهجة الغامرة لأن جاين كانت تبدو سعيدة.. ولكن ظلّ في عقلها ذكرى لقائها الأول لتشايس.

قالت جاين حين وضعت سوكي كأس العصير أمامها وتراجعت لتجلس على الأريكة:

ـ أخبرني جو أنكما ذاهبان إلى الكوخ في تُرجيتيا مدة أسبوع. أحسدكما. فالمكان هناك رائع في مثل هذا الوقت من السنة.

تمتمت سوكي بكلام يشبه الموافقة.. فقد لمست جاين عن غير قصد منها موضوعاً حساساً أرقّها وأقلقها ليالي طويلة. حين أثار جو موضوع الرحلة إلى تُرجيتيا، بدا لها آب بعيداً، وكانت واثقة أن علاقتهما ستنتهي قبل هذا الوقت بحيث لن يبقى منها إلا الذكرى.. ولكن انسابت الأيام وما زال جو جزءاً من حياتها، إنما لا تعرف كيف، ولا لماذا.

في الواقع، لم يصبح جو أسيراً لها كما توقعت، بل لم تشعر أن الأمور تجري لصالحها. ولولا قوله إنه حين يريد شيئاً يتوجه إليه مباشرة لتخلت عن كل الفكرة ولكن ما يسخطها أنها تشك في أن جو قد يقبل قطع علاقتهما ببرود وعدم اكتراث، وهذا بعيد كل البعد عن الدمار الذي ترغب في أن يحس به.

لذا، حين ذكر من جديد موضوع إجازتهما في كوخه، تمسكت بالفرصة كمحاولة أخيرة لتحقيق نجاح مشروعها. فهذا الأسبوع سيكون الحد الفاصل لهما فإن لم تستطع فيه انتزاع اعتراف منه بحاجته إليها، فلن تستطيع هذا أبداً.

ـ ألا تظنين هذا سوكي؟.. سوكي!.. أنت تحلمين! آه لا أظنك سمعت كلمة مما قلته!

قطع صوت جاين عليها أفكارها، فسارعت ترد:

ـ أنا آسفة.. كنت أفكر...

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي جاين:

ـ بأخي؟ أخشى أن له مثل هذا التأثير في معظم النساء.. إنه أخي.. وأنا أعرفه.. وأحبه كثيراً.. خاصة...

وصمتت، بعدما فكرت أن من الأفضل الامتناع عما كانت ستقوله:

ـ لكنه عابث بشكل لا يصدق. أحس باليأس من استقراره، مع أنني أعترف أن أملي تعاظم منذ أن تعرّف إليك. لم أشاهده مأخوذاً بامرأة كما هو مأخوذ بك.

إن كان هذا كلاماً صحيحاً فهذا يعني أنه يخفي مشاعره ببراعة.

سألت لتخفي اضطراب مشاعرها:

ـ ماذا قلت؟

ـ كنت أقول إنني سعيدة لأنك أقنعتني بقص شعري. أتعلمين لقد أعجبت أمي هذه التسريحة.

في صوت جاين رنة سمعتها سوكي من قبل حين تحدثت عن أمها.. رنة جافة غير سعيدة، وهذا أمر عجيب من شخص منفتح يهتم بالناس مثلها.. لم تشاهد سوكي حتى الآن الأرملة هارلو ولكن جاين عرضت عليها صورة لها وهي امرأة طويلة أنيقة، لا

يظهر عليها عمرها الذي بلغ حدّ الخامسة والخمسين. والغريب أنها لم تجد قاسماً مشتركاً بين الأم والابنة أما بين الأم والابن فهناك الكثير.

ـ تناسبك هذه التسريحة.. وأنا سعيدة برؤية بعض الماكياج على وجهك، فأنت تبدين شاحبة من دونه. مع أنك أكثرت من أحمر الخدود ووضعته في غير مكانه المناسب.

ـ أعرف.. حاولت وضعه كما علمتني، لكنني لم أفلح.

ـ سأعلمك ثانية إذن. تعالي واجلسي أمام المرآة وراقبي ما أفعل، وستتعلمين قريباً.

كانت جاين تقضي معظم زيارات سوكي بهذه الطريقة. مع العلم أن جاين كانت مترددة حين اقترحت سوكي عليها تعليمها فنّ الماكياج، ولكن ما إن اقتنعت، حتى طرقت صلب الموضوع.. فراحت جاين تحاول تطبيق كل تقنية جديدة بحماس، كما راحت تتدرب على ما علمتها إياه سوكي حين تذهب إلى البيت.

ـ هكذا يجب أن يوضع أحمر الخدود.. تقتضي اللعبة أن تضعي لمسات خفيفة مرة إثر مرة حتى يبدو طبيعياً.

تبادلتا المرح والنكات كمراهقتين، فراحتا تقهقهان بصخب جعلهما لا يسمعان رنين الباب الأمامي الذي تركته سوكي مفتوحاً لأن آنيت ستصل إلى البيت في أية لحظة. لذلك عندما أطلّ عليهما من الباب طيف أسود ذعرتا. قال صوت بارد جاف:

ـ إذن، هنا تختفين جاين! لقد تصور تشايس أن أشياء رهيبة قد أصابتك وقد كافحت حتى منعته من الاتصال بالمستشفيات.. قال إنكما متفقان على اللقاء منذ ساعة.

ـ ساعة!

هبّت جاين واقفة، وانتزعت قبعة الماكياج عن رأسها وعن

رفيقتها:

- لا أدري كيف مرّ الوقت.. آسفة سوكي.. ولكن علي أن أذهب.

احتجت سوكي. فهي تشك في أن تشايس قد بلغ هذه الدرجة من القلق.

- ولكنني لم أنته بعد.. ألا يمكنك فقط..

قاطعها جو بحزم:

- لا.. لا يمكنها.

أحست بخوف من الغضب المستعر الموجه إليها وحدها، فهو لا تعرف ماذا فعلت حتى تستحق هذا الغضب كله. أضاف:

- أتحتاجين إلى أن أقلّك إلى المنزل؟

كانت جاين قد جمعت أغراضها وهي في الطريق إلى الباب.

- لا.. شكراً لك.. فمعي سيارتي. آسفة لأنني سأتركك هكذا.. لكن، تعرفين ما هو الأمر.. وداعاً!

فيما هي تصغي إلى وقع خطوات جاين المستعجلة على الدرج، لم تتمالك سوكي نفسها من التفكير: لولا إخلاصها لتشايس لكان واثقاً من نفسه إلى هذا الحد.. ولكنها لن تترك نفسها تصبح أسيرة رجل بحيث تهرع إلى تلبية ندائه ما إن يستدعيها. ذكّرتها تلك الفكرة بوجود جو معها، فاستدارت إليه وعيناها تلتهبان بنار خضراء:

- أكان يجب أن تفسد علينا متعتنا؟ كانت جاين سعيدة!

- ربما.. أما تشايس فكان قلقاً.

- قلقاً! ربما.. ولكن هذا القلق قد ينفعه فيتوقف عن النظر إلى النساء الأخريات.

- نساء أخريات؟ من؟ تشايس؟ عمّ تتحدثين بحق الله؟ تشايس

مخلص لجاين.. وهذا ما يعرفه الجميع.. ولكنه قلق بسبب التغيير الذي يطرأ عليها مؤخراً وهو تغيير أنت سببه فلقد انتقلت إليها عدوى الماكياج والمظهر.

- إنها ليست عدوى! أنا أحب أن أبدو على أفضل حال. وكنت أساعدها لتكون مثلي... أردت أن أساعدها.. أساعدها...

وصمتت مترددة. فلاحظ ترددها وهاجمها على الفور:

- حقاً؟ أطلبت منك حقاً المساعدة؟ أم تراك فرضت هذا عليها؟ ليس لدى أختي وقت للادعاء والتزييف. إنها لم تفكر في هذا النوع من الخداع حتى التقت بك.

ما سبب هذا كله؟ ما هو الأمر المفظع بشأن دروس قليلة تتعلق بالماكياج؟

أردف غاضباً:

- إنها تمضي الآن أوقاتها تتحدث عن شعرها وماكياجها! لقد تغيرت تماماً حتى ما عاد تشايس يعرف ماذا يفعل في أمرها!

- عظيم! ربما لن يعود بعد الآن ينظر إليها على أنها أمر مسلّم به.

كان رد فعل جو عنيفاً.. وهو مزيج من التهيج والسخط والارتباك.

- من أين لك هذه الفكرة بحق الله؟ أنا أعرف تشايس منذ سنوات وهو لم ينظر قط إلى امرأة أخرى!

ارتفع صوت سوكي متوتراً، فاقتناع جو التام بكلامها أخرجها عن اتزانها.

- أوه.. لا؟ إذن كيف تفسر تلك الإشارة؟ لست عمياء أو بلهاء.. فالجميع يعرف..

- أية إشارة؟

ترددت قليلاً، فانفجر:

ـ اللعنة على النساء! لا يمكنك رمي الاتهامات جزافاً دون دليل يدعمها! أية إشارة؟

ـ ليلة العرض... في المقصف.. إنه...

خذلتها الكلمات، فرفعت يديها ترسم جسد امرأة في الهواء ثم أردفت:

ـ هذا ما أعنيه!

وكانت دهشتها كاملة عندما أرسل جو رأسه إلى الوراء وضحك عالياً. كان رد فعله ما توقعت تماماً.. فسألها:

ـ أتحكمين دائماً على الأمور بمظاهرها؟ أيتها البلهاء! لم يكن تشايس يصف امرأة أخرى.. بل يصف جاين!

لم تجرؤ على النطق بما يدل على عدم تصديقها ما تسمع ولكن نظرة عينيها تطلقت بالريبة التي تعتمل في نفسها فقال:

ـ كان تشايس يقول لي إنها حامل، وإنهما يشكان في هذا. كانت جاين نحيلة منذ... ولكن منذ أن تأكدت من حملها، امتلأ جسمها قليلاً فأصبح لها وللمرة الأولى جسداً مستديراً، وكانت سعيدة لهذا. هذا ما كان يشرحه لي تشايس.

أي رجل هو جو هارلو؟

ظنت نفسها تعرفه، فإذا بها في أسابيع قليلة تشك في ما تعرفه عنه. فبعد ذلك الاعتراف الذي اعترفت به أمامه لم يقم بأية حركة لإغوائها، والإغواء هو ما كانت تريده لتنجح في خطة انتقامها... وعوضاً عن الإغواء التزم جانب الاحترام فراح يلاطفها برقة ويعاملها بسلاسة حتى أخذت تستجيب له ولكنه لم يدفعها أكثر مما ترغب. وهذه التصرفات غريبة لأنها لا تنطبق على رجل صرّح أمامها أنه يأخذ ما يريده.. إذن هل يريدها أم لا؟

رمقته بنظرة حذرة.. فلم تجد في وجهه دليلاً على الحب، أو على الرغبة. مع ذلك فقد قالت جاين...

فجأة وعت أنه ينتظر ردها.

ـ أنا.. كنت مخطئة جداً. وأنا آسفة.

ـ كان عليّ أن أعرف أنك مخطئة، ولكنك لم تذكري هذا لجاين؟

ـ أوه.. لا! لم أقل لها شيئاً!

شاهدت ثورته يتلاشى ورأسه يهتز برضى. تمتم:

ـ شكراً لله على هذا. لو لمحت لها لشعرت بالألم.

ـ لن أفعل هذا أبداً! جو.. يجب أن تصدقني!

تعرضت لنظرة معتمة أخرى من نظراته المألوفة.. وأذهلها سؤاله:

ـ من هو سوكي؟

ـ من هو.. من؟

ـ الرجل. إنه رجل دون شك ذاك الذي دمّر حياتك وشتتها، وأقنعك بأن المظهر هو أهم ما في الوجود؟

ـ لا أدري عما تتحدث؟

كان ارتفاع حاجبه الساخر يشكك بكلامها.. وأشعل نار الغضب في رأسها، حتى رمت كلماتها التالية بغضب أعمى:

ـ إن ماضيّ شأني وحدي لا شأنك. وسأشكرك إن ابتعدت عنه!

لم تكن هذه هي الكلمات التي أرادت أن تقولها.. بل كانت تريد أن تقول: إنه أنت! أنت الرجل الذي جلب عليّ هذا الألم! كانت الكلمات تحرق لسانها، وكان عليها أن تطبق ثغرها بقوة لئلا تسلّ الكلمات منه.. قال لها بخشونة:

ـ أريد أن يكون ماضيك شأني.

ـ لا عليك أن تزجّ أنفك في أمري فلا يحق لك ذلك أبداً أبداً! فأنت لا تملكني جو هارلو.. أنا..

انقطع صوتها الذي أصمته وميض عينيه المهددتين.. لقد تجاوزت حدها.. وتركت لمشاعرها الحقيقية الظهور، وبهذا ربما تكون قد دمرت أملها في الانتقام. كان من الأجدى لها أن تقول له من هي، وتنتهي من هذه المهزلة.. هناك أمر واحد مؤكد بالنسبة لها وهو نسيان تلك الفكرة المتعلقة بقضاء أسبوع معه في فرجينيا، على الرغم من توقها إلى حياة الريف.

ـ حسن جداً.. لن أستطيع إجبارك على الاعتراف إنما فكري في ما قلته وعندئذ قد تتعلمين شيئاً منه.. وربما في الاسبوع المقبل..

ـ في الاسبوع المقبل؟ أتعني أنك ما زلت راغباً في أن أرافقك إلى الكوخ؟

كانت نظرته إليها حادة ضيقة مشبعة بما لم تستطع تحديده، بما أيقظ إحساساً يشبه رفيف أجنحة فراشة في أعماق معدتها.

رد بصوت ناعم خفيض وبطيء جعل بشرتها تقشعر:

ـ أوه.. أجل! ما زلت أريد منك مرافقتي... بل أنا أرغب في هذا الأمر أكثر من أي وقت مضى.

لم تكن سوكي مهيأة لاستقبال السعادة الغامرة التي جلبتها لها كلماته. فقد اجتاحت شرايينها وكأنها أشعة شمس الصيف الحارة، ودفعت شفتيها للاتساع ببسمة سعيدة توجهت رأساً إلى عينيه:

ـ أوه.. عظيم! أنا أتطلع إليها حقاً!

فيما بعد.. بعد وقت طويل طويل.. اعترفت لنفسها صاغرة، أنها حين نطقت تلك الكلمات كان الانتقام بعيداً عن تفكيرها كل البعد.

يا له من مكان جميل!

كانت هذه العبارة قد انسلت منها بطريقة عفوية جذلى وذلك حينما انعطفت سيارة جو إلى طريق جبلي ملتوي أطلّ على الكوخ الذي سيقضيان فيه الاسبوع التالي.

كان الكوخ أصغر مما توقعت وصلب وجهم عوضاً عن أن يكون جميلاً، مبنيّ في سفح التل بحيث أحدقت به سهول خضراء واسعة، فاجأت حجارته الرمادية القاتمة عينيها المعتادتان على الحجارة الاسمنتية والنوافذ الواسعة في المدينة ولكن ما هي إلا لحظات حتى تكيفت، وأحست بالراحة والأمان يستحوذان عليها فقد شعرت وكأنها عادت إلى منزل أهلها الريفي.

جرشت إطارات السيارة حصى المدخل، ثم توقفت خارج باب مطلي باللون الأبيض. في تلك اللحظة أسرعت سوكي إلى الخروج نمط جسدها مستمتعة بالهواء العليل النقيّ.. إنها رحلة طويلة حارة قاما بها من فيلادلفيا حتى أطراف جبال «بلو ريدج» الواقعة في وسط فرجينيا. كانت سوكي قد حاولت الحفاظ على حديث عادي مع جو عندما كان يسرع بالسيارة على الطريق العام، ولكنه كان صموتاً غير متجاوب يجيب عن أسئلتها وتعليقاتها بردود مختصرة حتى اضطرت أخيراً إلى أن تلوذ بالصمت

قالت له:

ـ لقد نسيت دون ربب كم هو الهواء نقي ومنعش هنا.

التفتت إليه باسمة فرأت مزاجها المبتهج أثر فيه، إذ استرخت عضلات وجهه المشدودة ولاح على شفتيه التواء خفيف قد يطلق عليه المرء ابتسامة. مدّ يده إلى جيبه ليخرج المفتاح، وقال:

ـ تعالي لتشاهدي الداخل.

تلاشت الرنة الفظة من صوته فارتفعت معنويات سوكي وهي تلحق به إلى الداخل.

كان المنزل الصغير حميماً ومريحاً كالبيت الحقيقي. فالغرفتان الصغيرتان في الطابق الأرضي مفروشتان بأثاث أنيق جعلها تتذكر منزل والديها. وغرفة الجلوس هادئة، فيها أريكة ذهبية قاتمة اللون ومقاعد ناعمة مريحة، ومدفأة حجرية قابعة في أحد الجدران فيما الجداران الآخران مكتظان برفوف من الكتب.

قال جو شارحاً:

ـ كانت هذه غرفة نوم ومطبخ حين اشتريت المنزل.. فبنيت ملحقاً لها، وأسست فوقهما مطبخاً وحماماً طالباً من البنائين استخدام نوعية الحجارة نفسها لئلا يظهر الاختلاف بين البناء القديم والجديد.

ـ إنه ساحر!

سرها، بعد الأناقة والروعة التي رأتها في فندقه، أن تجد أن ذوقه يميل إلى الأشياء التقليدية! فهي لم تتمكن يوماً من الراحة في الديكورات المعتمدة على الزجاج والفولاذ اللذين يفضلهما معظم أصدقائها.

ـ هل أستطيع رؤية الطابق العلوي؟

كانت غرفة النوم التي اقتادها إليها مزينة بألوان خضراء طفيفة ممتزجة مع الأبيض. فيها خزانة، وطاولة زينة مصنوعة من خشب الصنوبر أما المنظر المطل من النافذة فيشبه ذاك الذي تركته منذ قليل على مضض لتتفرج على المنزل، ولكنها شهقت فجأة بسرور عندما وقفت أمام النافذة الواسعة فرأت روعة الوادي العظيم الممتد أمامها.

ـ يا له من مكان جميل! أفهم الآن لماذا تحب اللجوء إليه.. المكان هادىء.. وهو على عكس المدينة الصاخبة.

منع شيء ما في الصمت كلامها من الاسترسال فالتفتت إليه فإذا بها تجده يمعن النظر فيها.. وعلى وجهه تعبير غير مقروء.. كان سقف الغرفة الصغيرة منخفضاً جداً حتى كاد رأسه الأسود يلامسه. بدا كبيراً وقوياً، في هذه الغرفة التي تراءت لها فجأة صغيرة جداً... أحست سوكي بتوتر أعصابها حين لاحظت أن ردة فعلها هذه لا تنسجم مع شخصية المرأة التي كانت تظهرها أمامه. فقد دفنت المرأة العاملة ذات الحنكة تحت دفق من البهجة العفوية المندفعة. فهل ارتكبت غلطة فادحة بمجيئها إلى هنا؟ قد يحيي وجودها في الريف ذكرى روزي بلاك.. تقلصت عضلات معدتها توقعاً لتعليق ما، قد يكشف أن تفكيره يتجه إلى هذا الاتجاه. ولكن بدلاً من هذا، تحرك جو بصمت إلى السرير، فوضع حقيبتها وحقيبة الزينة المماثلة على الغطاء الأخضر والأبيض. وقال لها بصوته العميق الهادىء:

ـ سأتركك لتوضبي حقائبك.

ـ شكراً، أود الاغتسال وتبديل ثيابي قبل العشاء.

رد متجهماً:

ـ العشاء بسيط جداً وهو من إعداد مديرة منزلي التي أعدته لنا قبل أن تسافر، فلا تظني أنه عشاء في فندق فخم، مع أنك تبدين لكثرة ما حملت معك من أمتعة تتوقين إلى الإقامة في فندق «خمس نجوم»... بالله عليك سوكي.. ألا تريحين نفسك أبداً؟.. ألا تتركين نفسك على سجيتها؟

ـ إن كان ترك نفسي على سجيتها يعني ارتداء ما يحلو لي فهذا ما أفعل.

لو كان لها أن تعترف بالحقيقة، لقالت إن بساطة الكوخ فاجأتها.. فهي لم تصدق قط وجود الملاذ الريفي الذي وضعه جو.. فقد ظنت أنها ستجد ما هو أكثر فتنة من هذا للمحافظة على صورة رجل الأعمال المحنك العالي المقام الذي هو عليه في المدينة. وكان للواقع الحقيقي تأثير مزعج فيها، فقد ذكرها بمنزل أهلها، وبأمها، وبموروغان.

- سأتركك إذن. أرى أن نتناول العشاء في الثامنة... أتكفيك ساعتان للظهور بأفضل حال؟

شدت على يديها بتوتر وهو رد فعل على سخريته، ولكنها تمكنت من النظر إليه بابتسامة باردة:

- إنهما أكثر مما أحتاج.

حين خرج، قالت لنفسها: لن يدوم هذا إلا أسبوعاً! سبعة أيام فقط! سيخرج بعدها بطريقة أو بأخرى، من حياتها إلى الأبد..

بدأت تفرغ الملابس من حقيبتها وتعلقها في الخزانة. ولكنها فكرت في أنها ستجد الأمور أشد وأصعب لأنها قريبة منه، فهي تعلم أنه في الغرفة المجاورة حيث لا يفصلهما إلا ممر صغير.

لقد فاجأتها غرفة النوم المنفصلة لأنها توقعت منه أن يقترح غرفة واحدة مشتركة هذا إن لم تقل سريراً واحداً!

ولو اقترح ذلك لاضطرت إلى إزالة وهمه... ولكن ذلك كان سيظهر لها أنه يحس.. بشيء! أنه.. يريدها! إنها تملك أملاً في تحقيق هدفها! وهذا هو هدف هذه الرحلة أصلاً!

تنهدت بإحباط وهي تضع الفستان الذي في يدها في مشجب.. لقد قررت أن يكون هذا الأسبوع الحد الفاصل، ومنذ بحمشتها منذ الآن: ستخدمه أفضل حللها.. ولكن ماذا سترتدي؟ إن الفساتين غير ملائمة البتة لهذا المكان... شعرت بالندم لأنها لم تحمل معها ثياباً بسيطة تريحها في هذا الجو... فهي وافقت على هذه الرحلة لتمتع نفسها ولتوقع جو في الشرك وما عليها الآن إلا استخدام أسلحتها جميعها.

كان العشاء مناسبة غير مريحة. فقد عاد جو إلى مزاجه النكد الذي كان عليه أثناء الرحلة. فقد لاذ بالصمت وغرق في أفكاره.. ولكن صمته هذا وتّر أعصابها حتى أفقدها القدرة على ابتلاع القليل من الطعام أمامها. عندما لم يجذب حتى عدم قابليتها على الطعام اهتمامه أحست بغضب شديد من تجاهله وجودها. إنه لم يعلق بكلمة على فستانها أو ماكياجها اللذين عانت الأمرين حتى نجحت في ترتيبهما.. فلم تلاحظ أنه يراها أكثر من قطعة أثاث في المنزل.

لم تتحسن الأمور بانتهاء الوجبة. فحالما نظفت الطاولة من الصحون، التقط صحيفة وظل مختبئاً خلفها، ممتنعاً عن التفوه بكلمة حتى أعلنت سوكي أنها ستأوي إلى النوم. عندها فقط رفع رأسه عن الصحيفة ونظر إليها نظرة طويلة صمتة باردة.

وجدت نفسها غريزياً تتصلب وتتوتر. نظر جو بدهشة إلى الساعة، وقال ساخراً:

- الوقت مبكر الليلة سندريلا. ما زال أمامك ساعة حتى منتصف الليل.

- كانت الرحلة طويلة وأنا متعبة!

في صوتها توتر، فقد أيقظت تعليقات جو ذكريات ليالي أخرى كان قد وجّه فيها تعليقات ساخرة بشأن قصة سندريلا. حيث كان يتأكد من وصولها إلى منزلها قبل منتصف الليل وكان هناك أوقات كثيرة تحس بالغضب من اهتمامه الزائد عن اللزوم بكلامها. فقد كان يقطع عليها سهرات ترغب أن تطول.. فقالت بحدة:

- سأقول لك عمت مساء إذن.

هز جو رأسه:

ـ نامي جيداً... أوه... على فكرة. سأذهب إلى البلدة القريبة غداً لأشتري بعض المؤونة. أعتقد أنني سأذهب قبل وقت طويل من استيقاظك.

أثار غيظها إشارته إلى أنه سيستيقظ قبل أن تستيقظ بوقت طويل. عليها أن ترتد على عقبيها وتغادر الغرفة ولكنها لم تفهم لماذا بقيت واقفة بغباء وكأنها تنتظر شيئاً... شتت وعيها توقعها بل رغبتها في عناق مسائي... وكانت الطريقة التي ينظر جو فيها إليها القشة التي قسمت ظهر البعير

ـ إن كنت ستستمر في التصرف وكأنني غير موجودة، فلأرحل إذاً. لا أدري لماذا أحضرتني إلى هنا أصلاً.

أعاد كلامها عينيه إلى وجهها ولكن هذه النظرة الباردة التي طالعتها جعلتها تتمنى لو تركت الأمور على حالها. تمتم بنعومة

ـ ألا تعرفين؟ عجباً... وأنا لا أعرف أيضاً

* * *

٨ ـ النار أحرقت الحلم

وضع جو صندوق مشترياته من معلبات وخضار وفاكهة على طاولة المطبخ وقال:

ـ لقد استيقظت أخيراً.

كانت سوكي قد استيقظت مضطربة، تفتقر إلى الانتعاش بعد ليلة أمضتها متقلبة في الفراش لأسباب لا تتعلق بالنوم للمرة الأولى على فراش غريب ولا بعدم اعتيادها على صمت الريف وهدوئه بعد ضوضاء المدينة وحركتها. فقد أغضبها تصرف جو الليلة الماضية وجعلها عدم اكتراثه الكامل بها تحس بالإحباط، كما أفقدها القدرة على النوم في ساعات الليل.

وفوق هذا كله أنه لم ينظر إليها الآن كثيراً بل أردف دون أن ينتظر ردها:

ـ إنه يوم رائع في الخارج. وأظنني سأبدأ بالعمل في الحديقة اليوم... إنها بحاجة إلى عمل جاد، فأنا لم أقم في الكوخ منذ أمد بعيد، هل أحمل لك الكرسي الطويل الى الخارج؟

كتمت بجهد الرد المعترض الذي تصاعد الى شفتيها، لأنها تذكرت أنه لن ينسجم مع الصورة التي تريد أن يراها عليها. كانت في طفولتها تساعد مورغان زوج أمها، في الحديقة. ولطالما أحبت تلك الساعات اللطيفة برفقته، وتمتعت بقربها من الطبيعة التي

افضت إليها بكثير من أسرارها، وكانت يومذاك فخورة بالفاكهة والخضار التي كانا يزرعانها.. في هذا الصباح ودت لو تساعد جو فهي بأمس الحاجة إلى نشاط يهدىء لها أعصابها المتوترة ولكن لهجة جو أوحت لها بأنه لا يريد منها المساعدة. فمنعها الكبرياء من إظهار وقع ذلك عليها. فقالت بجفاء:

ـ لا.. شكراً.. لا أحب الجلوس تحت أشعة الشمس فلقد شاهدت كثيراً ممن زادتهم الشمس اسمراراً حتى بدوا كمقاعد الجلد القديم.. و..

مات صوتها، حين أحست بأصابعه القاسية تمسك ذقنها وتدير وجهها نحو أشعة الشمس المتسللة من النافذة.. نعم أرادت أن يحس بها، إنما ليس بهذه الطريقة. فقد اجتاحتها موجة من الذعر حين شاهدت التواء فمه:

ـ تيا سوكي.. ألا تعرفين كيف الوجه تحت الشمس؟

في صوته مزيج غريب من الاشمئزاز والغضب المكبوح وشيء آخر لم تستطع تفسيره. فليس في قسوة كلماته ما يشبه طريقته الهادئة الواثقة في الكلام.

ـ لا حاجة بك إلى الادعاء هذا.. فلا أحد سيراك.

أرادت ان تصيح به: هناك أنت! ولكنها خنقت الكلمات.

ـ أنا لا أدعي!

أبعدت بسخط رأسها عن قبضته وأردفت قائلة:

ـ كم مرة عليّ أن أشرح لك أنني لا أصنع الماكياج من أجل أحد بل من أجلي وحدي فقط.

جعلها «الادعاء» الذي زجّت نفسها فيه، تجد صعوبة في ملاقاة نظرته. فأطرقت إلى الأرض. فإذا بها تجده يضرب بحذائه الأرض ضربات رتيبة. ارتفع بصرها على غير إرادة منها إلى الجينز الأزرق

فالتيشرت الأبيض حيث ظهرت بوضوح عضلاته المفتولة ومنكبيه العريضين وبعد ذلك نقلت بصرها إلى وجهه الجذاب. كانت رائحة الشمس والهواء النقي تفوح منه هذا عدا رائحة عطر فوّاح كان له تأثير مدمّر على قلب سوكي. بدا لها من سخرية القدر أن ترغب في أن يشعر بها كما تشعر به وسألها جو فجأة:

ـ من أنت سوكي؟

بعث سؤاله، وصوته المنخفض والمتوتر، موجات من الرعب إلى نفسها فاتسعت عيناها كحيوان صغير وقع في فخ وراح ينظر إلى المفترس الجائع أمامه.

ـ من أنت تحت هذا القناع الدقيق الذي تظهرينه للناس؟ وأين هي الإنسانة القابعة خلف هذه الواجهة؟

ردت، مصدومة، مشوشة الفكر، إنما مع شيء من الراحة لأنه لم يشك فيها حتى الآن.

ـ لا أعرف عما تتكلم!

ارتجف صوت سوكي بطريقة أزعجتها، فهزت رأسها غاضبة وراحت تستجمع خيوط نفسها المشتتة.

ـ إن ما تقوله جو لسخيف! إن مطلق رجل سيسعد إن رأى المرأة تجهد نفسها لتظهر أمام ناظريه جذابة.

تمتم برد ناعم:

ـ لكن هذا يتناقض مع ما قلته منذ لحظات. قلت إنك لا تقومين بأي جهد إلا لمرضاة نفسك كما إنني لست مطلق رجل.

وهذا صحيح.. فقد عرفت في الأسابيع القصيرة الماضية أنه ليس الشخص الذي توقعته... فوجدت نفسها في أكثر من مناسبة، معجبة بما تراه منه. بذلت جهداً لتبعد هذه الأفكار عن ذهنها ولتبعد تفكيره عن موضوع مظهرها، فتحرقت لترى المشتريات:

ـ لقد أحضرت طعاماً يطعم جيشاً.. سأضعه في الخزانة إذا

أعلمتها نظرة عينيه الحادة أنه يرى بوضوح تام مغزى تكتيكها. فظنت لبعض الوقت أنه لن يأبه لما تقول. ولكن لحظات الصمت عبثت بأعصابها. رفع كتفيه بخشونة وهز رأسه:

ـ هناك أغراض أخرى في السيارة. سأحملها

كان صندوق التموين على وشك أن يفرغ حين عاد جو من الخارج. وكانت سوكي تعمل بسرعة، تضع المعلبات في الخزانة، والمأكولات في البراد. وما بعث البهجة إلى قلبها أنها وجدت تشكيلة مختلفة من الأجبان. فمن الواضح أنه يشاركها حبها لهذا النوع من الطعام.. قال لها:

ـ هذا كل شيء.

وضع كيس منتفخاً بالفاكهة الطازجة والخضار ورمى مفتاح سيارته على الطاولة ثم نظر إلى سوكي نظرة ممعنة ولم يلبث أن أسرع يمد يده فجأة ليلتقط المفتاح من جديد. عندما رأته يضع المفتاح في جيبه استغربت الأمر فقد بدت حركته مقصودة مدروسة

عندئذ شعرت برعدة ارتباك تسري في أوصالها. ولكن وجهه كان هادئاً لا ينمُّ عن شيء مما يجولُ في أفكاره، ولا يدلُّ على عدوانيته التي كانت تستحوذ عليه.. فكان أن صرفت النظر عن مخاوفها، وتابعت تفريغ المشتريات.

بعد ساعات من هذا، كانت منحنية على الأريكة غارقة في قراءة كتاب اختارته من الرفوف المرصوصة. لم تكن سوكي قد وجدت من قبل هذه الفرصة للراحة والمطالعة منذ زمن بعيد لذا غرقت في القصة الخيالية التي استولت على لبها استيلاء لم تلاحظ معه دخول جو إلى الغرفة لذلك حين تكلم انتفضت مذعورة

ـ لدي سؤال أطرحه عليك

وضعت إصبعها على الصفحة لتحدد الموضوع الذي وصلت إليه من القراءة ثم رفعت نظرها إليه لترد:

ـ نعم؟

ولكن نظرتها إليه سرعان ما تركزت بحدة وارتباك وذهول... لقد أمضى طوال الصباح في الحديقة، متولياً إزالة الأعشاب الضارة النامية، وقطع الشجيرات الشائكة الزائدة النمو. وكان قد وضع كل ما قطعه في نار كبيرة أشعلها خلف المنزل.. وهي الآن تشم من ثيابه رائحة الخشب المحترق وترى يديه متسختين بالتراب. ولكن، ما جعلها تنظر بذهول وعدم تصديق ما رأته في يده. فقد كان يتدلى من يده ومن بين أصابعه المتسخة، حقيبتها الجلدية الرمادية الخاصة بمستحضرات التجميل. جاء السؤال باتراً:

ـ ماذا تحتاجين من هذه الأشياء؟

سألت وهي لا تفهم شيئاً:

ـ ماذا؟

على وجهه تصميم وفي عينيه إصرار.

ـ لا.. لا أفهمك؟

ـ الأمر في غاية البساطة.. أريد معرفة ماذا تحتاجين حقاً من هذه الأشياء وهذه التفاهات..

كانت حركة عقلها بطيئة فلم يكن لسؤاله معنى لديها. لكن الرد سهل من ناحية أخرى. وهو سؤال كان قد طرح عليها في المباراة الأولى التي أجريت معها للعمل عارضة: ما المستحضرات التي يجب أن تكون مع المرأة إذا اضطرت للبقاء في جزيرة مهجورة؟ ولكنها لم تستطيع إيجاد العلاقة بين هذا وبين وضعها الحالي بأية طريقة. فأعادت السؤال غير واثقة:

ـ ماذا؟

ـ جو سوكي.. أنت قادرة بالتأكيد على الرد على السؤال! تكلمي...

قلب أمام عينيها المذعورتين، الحقيبة الصغيرة. وما فيها من محتويات فوقعت المستحضرات على البساط أمام المدفأة: قارورات عطور وفراشي، وأحمر شفاه، وتلوين للجفون.. فصاحت غاضبة:

ـ ماذا تحسب نفسك فاعلاً؟ كدت تكسر شيئاً منها!

رمت الكتاب ثم هبّت واقفة وبدأت تلملم القطع المبعثرة. ولكنها جُذبت عن الأرض بقوة. كانت يده القوية قد أمسكت خصرها بقبضة فولاذية، مانعة إياها عن الحراك لحظة ولكنه لم يلبث أن دفعها بخشونة وأرجعها إلى مقعدها، فلما نظرت إليه تلقت نظرة تحذرها من التحرك ثانية. عندئذ رأت أن من الحكمة عدم المخاطرة بالرد عليه... وجلست جامدة، تشتعل عيناها الحمراوان بغضب ملتهب. حرك جو المستحضرات بطرف حذائه المتسخ:

ـ ماذا تريدين منها حقاً سوكي؟

بعث صوته المنخفض المتوتر القشعريرة في ظهرها، كان عدوه يخيفها أكثر من صياحه.. وقالت بعد جهد:

ـ مساحيق ترطيب البشرة.

ما حاولت الوقوف لتلتقطها، ثم عادت تغرق في الأريكة عندما تلقت نظرته الغاضبة المنذرة. أشارت وإصبعها مرتجف بشكل ظاهر...

ـ تلك.. التي هناك.

انحنى دون أن ينفوه بكلمة فالتقط الأنبوب البلاستيكي الأخضر الذي أشارت إليه ثم رماه دون اكتراث إليها ولكن يديها كانتا قد ارتفعتا متأخرتين فوقع الأنبوب في حجرها.. قاومت بجهد رغبة طائشة في الإمساك به وضمّه كي تحميه منه.. ثم تساءلت عن

الخطوة التالية.. تفرّس لحظات طويلة في الكومة المتعددة الألوان، الملقاة على البساط البني، ثم انحنى ليبحث فيها بسرعة. وعلى وجهه نظرة كراهة وازدراء لما يراه من المستحضرات. فاختار زجاجتين أخريين رماهما إلى الأريكة قربها. ثم لملم ما تبقى بين ذراعيه واستقام واقفاً...

ـ ماذا أنت فاعل بها؟

عندما تجاهل الرد انفجرت سوكي:

ـ ماذا ستفعل بها؟ إنها حاجاتي الخاصة! أريد أن أعرف ماذا ستفعل بها! جو..!

صاحت تناديه بإحباط ولكنه كان قد خرج مقفلاً الباب خلفه.. جلست بسرعة دون حراك ثم سمعت باب الكوخ الخلفي يُغلق وشاهدت ظله الطويل يمر أمام النافذة في طريقه إلى الحديقة. هبّت على قدميها تهرع إليه خافقة القلب. لكن المنظر الذي طالعها وهي تستدير خلف المنزل، جعلها تقف مصعوقة، تحدّق برعب.

ما تزال النار مستعرة في الحديقة بطريقة كانت سترسل الغبطة في نفس سوكي في وقت آخر.. ولكن، لم يكن في عقلها مشاعر وهي ترافبه يرمي أول قطعة من مستحضراتها في النار يتبعها بأخرى.. وسمّرتها الصدمة في مكانها ثم لم يلبث أن امتقع لونها وهي ترى بعض مستحضراتها تذوب في النار ثم تشتعل مرسلة لهيباً يطاير في هواء الصيف الصافي.

وجدت نفسها تتحرك مرة أخرى.. فصاحت:

ـ جو... لا! توقف عن هذا!

وركضت إلى الأمام ولكنه تجاهلها وكرّر ما فعله مع أصناف أخرى من المستحضرات التي يحملها. عندما وصلت إليه أمسكت ذراعه تحاول إرجاعه الى الخلف.. ولكنه حرّر نفسه منها بدون

جهد ثم رمى كل ما يحمل في النار.

ـ أوه.. لا!

واندفعت إلى الأمام دون تفكير، تمدُّ يديها إلى النار تحاول استرجاع أيٍّ منها، قبل أن يحترق؛ ولكن يديه القويتين أمسكتا بذراعيها من الخلف ثم جرّتاها. فصاحت مقاومة بشراسة:

ـ اتركني!

رد بصوت أجشّ:

ـ سوكي.. لا تكوني حمقاء! ستؤذين نفسك!

ركلت قدميه بقوة وعنف فلما سمعته يصيح متألماً شعرت بالنصر.. ولكن قبضته بثبت تشدّها. وما هي إلا لحظات حتى تحولت النار إلى جحيم ملتهب.. فتراجعت سوكي من شدة وهجها وهي عاجزة إلا عن مراقبة النيران الجائعة التي راحت تلتهم آخر قطعة من ماكياجها الثمين. كانت وهي واقفة تشعر بأن جزءاً منها قد احترق وتحوّل إلى دخان.

انتزعت نفسها من قبضته بقوة لم تكن تدري أنها تملكها واستدارت تواجهه، فإذا بها ترى نظرة رضى على وجهه وإذا بموجة من الغضب الرهيب تستعر في نفسها فقبضت يديها بقوة ثم أطلقتهما إليه، تضربه بكل ما أوتيت من قوة. كانت ضرباتها تلع على ذراعيه وصدره، ولكن حين رفعت قبضتيها إلى الأعلى تحرك بسرعة، وأمسك بمعصميها يشدّهما بقوة، فأطلقت في اللحظة نفسها ركلة متوحشة إلى ربلة ساقه.. فقال لها ببرود:

ـ اهدئي سوكي، تتصرفين كالمجنونة.

رفعت رأسها إليه تنظر نظرة ملؤها الكره وصاحت بشراسة:

ـ أكرهك.. ! أكرهك!

ووقفت عدة لحظات أسيرة بين يديه لا تسمع إلا أنفاسها

الغاضبة غير السوية. رفعت رأسها بتصميم، وقالت بصوت يماثل صوته برودة وحدة:

ـ اتركني الآن.. فلن أؤذيك.. بل لا أريد أن ألمسك!

هدّدت البسمة الساخرة التي لامست شفتيه رباطة جأشها ولكنه تركها بلا تعليق، وارتدّ قليلاً، يراقبها عن كثب.. ما أن تحررت منه حتى ارتدت على عقبيها متجهة إلى الكوخ.. كانت تعرف أنه يلحق بها ولكنها لم تنظر إلى الخلف. بل دخلت بكل عزم إلى الداخل ومنه إلى غرفتها حيث جذبت حقيبتها وطفقت تجمع ملابسها من الدرج وترميها في الحقيبة.. ولكن صوتاً ساخراً قال ببرود:

ـ ماذا تفعلين؟

نظرت إليه سوكي غاضبة:

ـ وماذا ترى؟ أوضب حقيبتي لأغادر حالاً.

ـ وكيف ستتمكنين من هذا؟

صدمها ما في صوته من سخرية وزاد من تضمنها عدم تفكيرها بوسيلة النقل

ـ سأشغل السيارة إلى أقرب قرية.. وعندها..

صمتت فجأة، عندما رأته يهزّ رأسه فتذكرت بحركته تلك أنه أخذ المفتاح عن طاولة المطبخ. إذن لقد خطط لكل هذا؟ وكان يعلم ما ستكون عليه ردة فعلها فاتخذ تدابير لتشلّ ما ستقوم به! تترك الغضب المستعر سوكي غير قادرة على الكلام... وقال بلطف:

ـ تبعد عنا أقرب قرية عشرة كيلومترات وبما أن حقيبتك ثقيلة فستعجزين عن الوصول.

صرّت سوكي على أسنانها وتجاهلته، علماً أن تفكيرها كان

يشتغل بسرعة. أتستطيع السير عشرة كيلومترات وهي حاملة حقيبة ثقيلة؟ لعنت نفسها بشراسة لأنها لم تحمل معها إلا أحذية عالية الكعبين.. وهي جميعها لا تناسب السير مسافات طويلة.. إذا تركت حقيبتها هنا.. فقد تصل إلى القرية وعندئذ تستأجر سيارة أخرى أو تركب باصاً قد تضطر إلى انتظاره ساعات.

قطع الصوت الناعم عليها أفكارها:

- هناك شيء آخر.. ماذا ستفعلين حين تصلين إلى القرية؟

- سأتدبر أمري! معي ما يكفي من مال وأكثر!

ظهر لها من خلال ارتفاع حاجبه المتسائل بأن في جعبته المزيد من الأقوال التي لن تعجبها:

- لديك ما يكفي من مال؟

مدّ يده التي كان يضعها وراء ظهره ليريها ما يحمل فيها فتصاعد غضب أبيض لهيبه ملأ عليها دماغها، فقد كانت حقيبتها المحتوية على حافظة النقود وعلى دفتر الشيكات، وبطاقات الاعتماد في يده.

- أيها... أيها النذل.. أعطني إياها!

رمت بنفسها عليه ولكنه رفع يده عالياً، بعيداً عن متناولها فيما أمسكها برأسها وأوقفها في مكانها بيده الأخرى، ثم هزه لها بعنف وابتسامة تغطي شفتيه فبدا شيطاناً أمام عينيها... وقال ساخراً:

- ما من مجال.. سأضعها في مؤخرة السيارة وأقفل عليها. ولن أدعك تضعين يدك عليها دون موافقتي.

دفعها دفعة قوية أرسلتها تتخبط إلى الخلف حيث انهارت على السرير..

- أترين، يا عزيزتي سندريلا.. أنت لن تذهبي إلى أي مكان!

راقبته عبر دموعها الحارة المحبطة يرتد على عقبيه إلى الدرج

ولم تمض لحظات حتى سمعت وقع خطواته خارجاً ثم صرير صندوق السيارة. فعلمت أنه نفذ تهديده. رضيت بمرارة وقوعها في الفخ.. فحتى لو تمكنت من الوصول إلى القرية، فلن تستطيع فعل شيء وهي بدون مال. ولكن لماذا يصمم على بقائها.. أو ماذا يخبىء لها.. إنها لا تعرف في هذه اللحظة إلا أنه كسب الجولة.

صاحت بصوت مرتفع ترفع قبضتها لتضرب الوسادة:

- أكرهه! أكرهه!

بدا لها صوتها حتى لأذنيها زائفاً.. غير مستقر، فيه رنة كذب

٠ ٠ ٠

٩ ـ كوني نفسك!

ـ سوكي؟ سوكي هل أنت مستيقظة؟

تأوهت سوكي على الرغم من أن باب الغرفة موصد بإحكام.

ـ اذهب من هنا!

ـ أوه.. هيا سوكي! يجب أن تخرجي. لا يعقل أن تختبئي في الداخل إلى الأبد. حملت إليك بعض القهوة..

كان في صوته رنة تملق لم تستطع رغم قرارها وتصميمها إلا الإحساس بالإغراء، فهي لم تأكل شيئاً منذ الأمس فقد حالت مشاعرها الغاضبة المضطربة بينها وبين تناول ولو جزء يسير من الطعام الذي وضع أمامها مساء.

ـ حسناً، احردي إذا شئت. سأترك القهوة عند الباب. ولكن يستحسن أن تأخذيها بسرعة قبل أن تبرد. سأكون في الحديقة إذا احتجتني.

ترك نفاد صبره بعض الحدة في صوته.. ففكرت بمرارة وهي تسمع وقع خطواته أنها لن تحتاجه أبداً إلا إذا تجمّدت الجحيم.

كانت تريد تجاهل القهوة ولكن احتساء شراب ساخن يغويها...

حين سمعت باب المطبخ الخلفي ينفتح ثم ينغلق، ترجلت من السرير بهدوء.

لفت يديها حول الكوب ثم دنت من طاولة الزينة تطلب النظر في المرآة التي أظهرت لها وجنتين شاحبتين وأجفاناً ثقيلة... لا يمكنها مواجهة جو على هذه الحال.

ليلة أمس حينما أزالت الماكياج لم تفكر في وجهها مطلقاً. فقد كانت متوترة الأعصاب مما حدث، بحيث لم تفكر إلا في اللجوء إلى الفراش... لكنها اليوم تحس أنها بدون طبقة الماكياج الخارجية ومظهر المرأة المحنكة الذي كسبته عبر السنين أقرب إلى روزي منها إلى سوكي التي تعرفها.

ولكن صوتاً رفيعاً برز إلى ذاكرتها، إنه صوت آنيت: «دعك من هذا سوكي.. أنت لا تشبهين ما كنت عليه في مراهقتك».

فعبست ثم أعادت النظر إلى المرآة.. هل تشبه روزي فعلاً؟ لقد تغير شكلها كثيراً بحيث لم تعد تشبه تلك الفتاة التي كانت صديقتها قد وضعت لها ماكياجاً أخرق. فبعد ما نقص وزنها تغيرت ملامحها فبدت وجنتاها واضحتا العظام مما أضفى على شكلها اختلافاً كبيراً دون شك. ولكن وجهها وهو خالٍ من المساحيق وظلال العيون يبدو فارغاً، هشاً، يعوزه التحديد. وربما، جو على حق... فلقد مضى زمن طويل لم تنظر فيه إلى وجهها الحقيقي إلا من خلال عين الفنان الذي ينظر إلى قماش لوحة فارغة، ليخطط ضربات فرشاته التي تجعلها تنبض بالحياة.

عندما نزلت إلى الأسفل كان جو ما يزال في الحديقة، ولكنها لم تكد تصل المطبخ حتى سمعت وقع خطواته.

أحست بالتوتر، فقاومت اندفاعاً غامراً إلى الهرب ووقفت أمام المغسلة تملأ إبريق القهوة ماءً. عندما دخل وقف في مكانه ثم راحت عيناه بسرعة تحطان على وجهها. فأدارت رأسها ونظرت إلى

خارج النافذة:

ـ سوكي.. سوكي.. انظري إليّ.

كان صوته رقيقاً ولكنها أبقت رأسها مشاحاً حتى امتدت يد ثابتة إلى ذقنها فأدارت وجهها بلطف.

أغمضت عينيها بعد نظرة سريعة إليه وهي تحس بمعدتها تتقلص.. لم تستطع إجبار نفسها على النظر إليه خوفاً من أن يعرفها.. لكن تلك النظرة السريعة إلى وجهه كانت كافية لتبرز لها جاذبيته القوية التي هددت بتبديد رباطة جأشها المهتزة. أحست بالضعف والوهن أمامه، وسمعته يكمل كلامه

ـ أوه.. سوكي!

صدمتها رقة صوته ففتحت عينيها ولكن ما طالعها في عينيه جعلها تحبس أنفاسها. كانتا قاتمتين حتى الاسوداد لا يظهر من لونهما الرمادي إلا دائرتين رفيعتين. جذبتا نظرها اليهما بشكل مغناطيسي طمس عنها كل ما حولها.. فالمطبخ وزقزقة الطيور في الحديقة، دفء الشمس على ظهرها. تلاشى كله أمام منظر رأسه الأسود المقترب منها.

كان عناقه خفيفاً رقيقاً فيه حنان فائق ورقة مذهلة لم تستطع معهما إلا الاستسلام والوقوف بين ذراعيه عاجزة عن الحركة. كان قد عانقها من قبل، عدة مرات، ولكنها لم تشعر أن عناقه شبيهاً بما سبقه بل شعرت وكأنها المرة الأولى التي يضمها إليه. فليس فيه الانفعالات العاطفية التي شهدتها منه ليلة العرض بل فيه شيء جديد جعلها تدرك أن العناقات السابقة كانت خالية من المشاعر.. وكأنه كان يتعمد الابتعاد، محافظاً على مسافة محددة بينهما طوال تلك الأسابيع التي عرفته فيها، لذلك أقنعت نفسها أن تجاوبها معه في

المرة الأولى وفي الثانية بعد العشاء عند جاين ونشايس، كان مجرد انحراف مؤقت.. ولكن المشاعر التي تدفقت إلى أوصالها الآن دمرت ذلك الوهم.. لأنها كانت تشعر وكأنها غابة عطشى تحتاج إلى رذاذ خفيف لتتنعش من جديد.. حين أبعدها جو أخيراً كانت ترتجف كورقة في مهب الريح.. ولكن البسمة التي ظهرت على وجهه لم تهدىء أو توقف خفقات قلبها المتراكضة. مسحت وجهها بحركة متوترة وكأنها تحاول مسح سحره عنها.

ـ لا.. سوكي!

أمسك يدها بلطف وأبعدها عن وجهها المتورد فأرسلت هذه اللمسة الخفيفة شرارة كهربائية هزت أوصالها.

قال لها بهدوء:

ـ لم أخطط لكل هذا.. ولكنك تبدين جميلة جداً...

جذبت يدها بسرعة من يده، وقالت بتوتر:

ـ كنت أعد لنفسي بعض القهوة.. أتريد منها القليل؟

حمدت ربها على الفرصة التي أتاحتها لها إعداد الفناجين والصحون. كانت بحاجة إلى وقت لتستجمع شتات نفسها.. فشيء ما حدث.. شيء لم تفهمه جعلها تشعر بأن دنياها كلها انقلبت رأساً على عقب.. فهي مهما حاولت لن تستطيع إحياء مشاعر الغضب والحقد نحو جو مرة أخرى...

كان جو هو من سهّل الأمور عليها، فبعدما صبّ القهوة، انطلق في حديث بسيط شاركت فيه فساعد على تخفيف توترها.

ولكن تلك المحادثة، حددت نغمات ما تبقى من اليوم.. فقد كان جو طوال اليوم مؤدباً كيّساً، يقدم فقط الرفقة المستساغة الودود التي لم تستطع إلا تقبلها بعد توتر اليوم السابق. ثم يحاول إقناعها

القيام بأي شيء، بل تركها وشأنها، مركزاً على عمله في الحديقة. وجدت سوكي هذا الأمر مريحاً جداً. فقد كانت الساعات البطيئة الهادئة تتناقض مع حياتها العملية الدائرة في سرعة دائمة، فقد كانت في معظم أيامها تركض بين موعد وآخر وبين مزين وآخر حيث كان كل من يعتني بها يملي عليها التعليمات لتقف أمام الكاميرا بأبهى صورة وآخر حلة... ولكنها اليوم راحت تشعر بطعم الراحة والاسترخاء. وأخذت تنظر إلى مهنتها بعين جديدة، فرأت أن نجاحها قد استحوذ عليها بحيث لم يترك لها وقتاً للأشياء الشخصية الخاصة بها، ثم لاحظت أنها مؤخراً لم تعد تحس إلا أنها دمية لا تتحرك إلا لتطيع أوامر من يملك الخيوط.

فهمت الآن لماذا يأتي جو إلى الكوخ. ولماذا يحس بالحاجة إلى الفرار من العمل ومتطلباته ومن صخب المدينة. عندما فهمت ذلك رغبت بإلحاح في رؤيته وقبل أن تفكر في ما دفعها هكذا، وجدت نفسها في الحديقة، خلف المنزل.

كان جو يعمل في بقعة مكتظة بالعشب الضار، وذلك بين شجرتي تفاح كبيرتين، مثقلتين بالفاكهة وهما مغروستان في طرف الحديقة البعيد قرب الجدار. فأخذت سوكي تراقبه بصمت، وعيناها مسمرتان على عضلات ساعديه المفتولة البارزة بوضوح كلما أنزل المعول إلى التراب. في هذه اللحظة بالذات لم تعد ترى فيه رجل الأعمال المحنك الذي تعرفه.

سبق أن قال لها: «كوني نفسك» فردت بغضب أن هذا ما ستفعله. ولكن أليس فيها جزء آخر مدفون بقسوة تحت واجهة سوكي باكس، عارضة الأزياء الناجحة؟ اعترفت مع ازدياد إحساسها بالقنوط أنها وفي ظروف أخرى، ما كانت ستقف هنا تراقب جو،

بل كانت ستهرع إلى مساعدته كما كانت تفعل في طفولتها مع مورغان. تعاظم الشوق وهي تعترف لنفسها بأنها ستجد متعتها في هذا العمل. ولكنها فرضت على نفسها دوراً مختلفاً وما تزال حتى الآن ملتزمة به. فقد يُفتضح أمرها إن تركت هذا الدور وعندئذ سيعلم جو أنها كانت تخدعه.

كوني نفسك!

تنهدت مستسلمة ثم رددت لنفسها أن جو لا يحتاج إلى أن يكون غير نفسه: فحتى وهو يرتدي جينزاً رثاً وحذاءاً مطاطياً لم يفقد شيئاً من هالة القوة والطاقة التي تحدق به دوماً. فمظهره الرائع هذا يشير إلى أنه لا يحتاج إلى ثياب فاخرة غالية الثمن أو إلى أشياء أخرى يحتاجها من هم أدنى منه شأناً ليحسنوا مظهرهم العادي...

تنهدت سوكي.. فهي حتى الآن جربت جميع الثياب التي حملتها معها طلباً للراحة وسعياً إلى أن تريه وجهها الآخر ولكنها فشلت.

التقط جو تنهيدتها على الرغم من خفوتها فاستدار. حين شاهدها تقف في الممر، مرر يداً متسخة في خصلة شعر تدلت على جبينه، ثم ابتسم لعينيها الخضراوين المرتبكتين وظلّ على صمته.

خطفت نظرته أنفاسها وتوقف قلبها عن الخفقان فجأة.. ثم عاد يقفز من جديد إنما بسرعة مضاعفة... هذا جنون غير معقول. فهي تشعر وكأنها لم تره قط مبتسماً أو كأنه كان دائماً بعيداً عنها. لكن هذه البسمة لا تخفي شيئاً وراءها، بل هي دافئة مرحة تضيء عينيه ووجهه، حتى تكاد تبدو الشمس المشرقة أمامها مطفأة. تمتمت بسرعة

ـ جئت.. لأرى إن كنت تريد أن تشرب شيئاً. الطقس حار جداً وأنت دون شك عطشان.

كانت قد أحست بحرج مؤلم لأنه ضبطها تراقبه بامعان فأطلقت أولى كلمات احتجاج بدرت إلى رأسها. وما بعث الراحة إلى نفسها أنه قال بصوت ناعم سائغ:

ـ أنا فعلاً عطشان. هناك بعض العصير في البراد

لن تحتاج حتى تحضر الشراب إلا دقائق قليلة.. بعدها تستطيع الفرار.. ولكنها عندما رأته يحتسي الشراب البارد متنهداً وجدت أنها تكره أن تتركه... كان على خده لطخة وحل، فارتفعت يدها بلا وعي لتمسحها له، ولكنها سرعان ما أخفضت يدها ثانية. فسألته تشير برأسها إلى قطعة الأرض التي يعمل فيها:

ـ ماذا ستفعل هنا؟ إنها مساحة رائعة لزراعة الخضار.

ـ هذا صحيح.. ولكنني لن أستطيع التخطيط لشيء كهذا لأنني لا آتي إلى الكوخ دائماً والأرض تحتاج إلى رعاية وإلى حراثة.

ـ هذا مؤسف.. كان مورغان دائماً...

صمتت.. وقد راعها ما كشفت عنه دون وعي.. أدارت رأسها متمتمة:

ـ سأحمل كأسي العصير إلى الداخل وأغسلهما.

ثم عرجت إلى المنزل لا تلوي على شيء. عندما وصلت إلى المطبخ أسندت ظهرها إلى الباب، ولكنها لم تستطع أن تنسى نظرة عينيه المتسائلة.

شعرت بخوف كبير. هل يعقل أن يربط بين الأمور فيعرف هويتها؟ وماذا تفعل إن عرف؟ إنها هنا معه عالقة في لخ وهي تحس بأنها مهددة بطريقة ما.

ـ هل كان مورغان هو الرجل الذي سبب لك الألم؟

فاجأها السؤال خلال الحديث اللطيف الذي دار بينهما أثناء

تناول العشاء. بل إن سوكي لم تكن واثقة أنها سمعته سأل حقاً. مورغان سبب لها الألم؟ مورغان قد يعطيها العالم كله إن طلبته..

هزّت رأسها:

ـ لا.. لا.. لم يكن مورغان.

جعلها ردها غير الحذر تدرك أنها أصبحت مكشوفة أمامه.

ـ من يكون إذن؟ وماذا فعل لك سوكي؟

لقد علقت في فخ صنعته بنفسها. والآن ماذا تفعل؟ بم تجيب عن سؤاله هذا؟ لو كانت تملك الشجاعة الكافية لانتهزت الفرصة وباحت له بالحقيقة كاملة. فلقد أصبح مشروع انتقامها ركاماً مدمراً أمام قدميها. ولو عرف من هي ولماذا أتت معه إلى هنا، لسرّه أن يعيد إليها حقيبتها البدوية ولتركها ترحل.. ولكن شجاعتها خانتها:

ـ كان اسمه بيل كوين.. كان يكبرني بعشر سنوات.. وهو ذو تجربة وخبرة، ظننته مهتماً بي ولكن الحقيقة أنه انجذب إلى اسم جديد، إلى نجمة قد تلمع مستقبلاً في عالم عرض الأزياء. أراد فقط أن يُشاهد برفقتي، وأن يقيم معي علاقة عابرة. ولكنني لم أكن مستعدة لهذا.. فتركني. إنها قصة قديمة.. حدثت لمئات قبلي وستحدث لآلاف بعدي.

ـ ولكن قد تتعاطى الأخريات بشكل أفضل مع حدث كهذا.

كانت كلماته ناعمة، بل فيها شفقة ممزوجة بما يشبه الحدة. التفتت إليه دهشة فرأت لهيب الغضب في عمق عينيه.

الغضب! أهو غاضب بسبب الطريقة التي عاملها بها بيل؟ أحست بدوار في رأسها وهي تحاول استيعاب هذا التطور الجديد غير المتوقع. تشتتت قدرتها على التفكير بوضوح ولكنها أدركت أن القصة التي قالتها حقيقة مبسطة. فقد قطع بيل كوين علاقتهما لأنها

رفضت معاشرته وليس لأن صورتها الرائعة تحطمت أمام عينيه عندما وقعت في البحر.. ولكن ماذا قصد جو بقوله: ربما تعاملت الأخريات مع الأمر بشكل أفضل؟

مال نحوها وفي عينيه تصميم:

- سوكي...

ردت بسرعة:

- حدث هذا منذ أمد بعيد لذا يستحسن نسيانه.

لكن كلمات جو القاسية، وقعت على قلبها في وقت أبعد، وذلك قبل أن تلتقي ببيل كوين ومع ذلك لم تستطع نسيان كلماته ولا نسيانه.

جعلتها لمسة خفيفة على ذراعها تعود إلى واقعها، فنظرت إلى أصابعه السمراء.. إنه قريب منها، قريب جداً.. في عينيه نظرة ممعنة.

- رجال مثل كوين لا يستحقون الألم سوكي..

أغضبتها رقة صوته ولطف كلامه، لأنها غير مستعدة لشفقة خاصة الآن.

عندما راحت أصابعه تلتف حول أناملها الرقيقة، سحبت يدها وكأن النار لسعتها.. ثم تكلمت لقطع الصمت الذي حلّ عليهما:

- أحب الإصغاء إلى بعض الموسيقى. أيمكنني ذلك؟

رد كمن يحاول تدجين عصفور خائف:

- وماذا ترغبين منها؟

وجدت نفسها غير قادرة على تذكر أي شيء، فقالت:

- أوه.. أي شيء.. اختر أنت.

ندمت على هذا بعد لحظات فالأغنيات التي اختارها كانت

أغنيات ريفية، نغماتها مألوفة لديها. عندما كانت في السابعة عشرة كانت تملك هذه الاسطوانة وكثيراً ما أغلقت على نفسها في ذاك الوقت لتمسك صورته في يدها مدندنة مع النغم.. جو هارلو.. جو هارلو.. مرات ومرات.

كانت هذه الذكريات تتسارع إلى رأسها فتقع على قلبها قوية لذلك وقفت غير مبالية بتعجب جو أو بقلقه وهرعت إلى غرفتها.. وتركها جو تذهب.

بعد ساعات طويلة كانت ما تزال مستيقظة تحدّق إلى السقف وذكرى لقائها الأول بجو يعود حياً إلى ذاكرتها... ظلت كلماته القاسية بعد رحيله تتردد وتتردد في عقلها كفيلم مجنون نغّص عليها عيشها وحرمها هناءها.

لقد مرّ زمن طويل على هذا.. فلماذا لا تترك كل شيء وراءها، بل لماذا تركت كلماته القاسية تدفعها إلى الانتظام؟ تباً لتلك الكلمات الأشد إيلاماً من تصرف بيل كوين الأناني.

لقد آلمتها، لأنها أحبت جو، لا لم يكن حباً ما شعرت به قبل تسع سنوات بل غرام تلميذة مراهقة برجل وسيم وقوي. إن كان حبها ذاك وهماً فلماذا آلمتها إذن؟

فجأة، فهمت الحقيقة التي انبعثت وكأنها نور كاشف أضاء جزءاً من دماغها فأنار الزاوية المظلمة المخبئة..

آلمتها كلمات جو لأنها كانت تتوقعها، فبسبب وزنها الزائد وطولها المميز وجسدها الضخم توقعت أن يقال عنها شيئاً غريباً. وما زاد من عمق هذا الإحساس مزاح أصدقائها في الصف وذلك حين بدأت تشعر بجاذبية الجنس الآخر وبرغبة إلى ارتداء ملابس لم تعتدها وما ذلك إلا لأنها كانت تظن أنها ستبدو فيها جذابة. وقد

حدث في ذلك الوقت أن تآزرت كلمات جو مع تعليقات القصبة فخلفت في نفسها تلك المشكلة التي دفعتها إلى الاختباء وراء ماكياج ثقيل وشعر مجعد مجنون. لم تؤمن حقاً أن جو سيراها أكثر مما هي عليه: سمينة خرقاء، غير جذابة. وقد دمرتها كلماته لا لأنها كلمات ظالمة بل لأنها اتفقت مع ما تعرفه مسبقاً.

إذن.. ماذا سيحدث لمشروع اتقانها الآن بعدما رأت الماضي بنظرة جديدة مختلفة؟ ولكن ما أدهشها أنها وجدت أنها لا تريد التفكير في هذا السؤال. بل عليها الاعتراف بجميل جو لأن كلماته التي استرقت إليها السمع كانت السبب والدافع إلى التبدل الذي طرأ عليها. فلولاها لما أصبحت عارضة أزياء ناجحة ذائعة الصيت.

* * *

فراشة المحبة

١٠ ـ تفاحة الإغواء

عندما استيقظت سوكي من سبات عميق لم تقطعه الأحلام كانت الشمس تتسلل من نافذة غرفة النوم يرافقها وعد بيوم آخر حار. تمطت بكسل وهي تشعر بشوق شديد إلى الخروج من المنزل طلباً لدفء الشمس وللهواء النقي وسعياً إلى التمتع بإجازتها تمتعاً يشبه ذاك الذي كانت تشعر به في بلدتها.

ارتدت ثيابها بسرعة، وهي مؤلفة من سروال قصير أبيض وقميص أزرق فاتح. فيما هي متوجهة إلى الحديقة، أدركت أنها لم تفكر في الماكياج فعند استيقاظها لم تقم إلا بتمشيط شعرها.

كان جو واقفاً في أعلى سلم خشبي، رأسه بين أغصان إحدى شجرتي التفاح، يلتقط منها الفاكهة ويرميها في صندوق موضوع على الأرض.. راقبته سوكي بصمت فترة.. ثم، ودون أن تتمكن من منع نفسها، خطت إلى الأمام.

ـ سيتلف هذا التفاح برميك إياه على هذا النحو.

سادت لحظة صمت، لم تستطع خلالها رؤية وجهه بسبب الأغصان.. ثم قال بشكل عفوي:

ـ لماذا لا تساعدينني إذن؟ سأرميها لك، فتضعيها في الصندوق.

- حسناً.. هذا ما سنفعله.

عملا بصمت فترة، كان أثناءها جو يقطف الثمار ثم يمررها إلى سوكي، التي تضعها بحذر وعناية في الصندوق. المكان الدافىء الساكن وانشغالها بالعمل ذكرها بتلك الأوقات التي كانت تمضيها بمساعدة مورغان... ولكنها سرعان ما نسيت كل شيء وغرقت في ما تعمل، فتلاشى بذلك كل أثر للتوتر حتى أصبحت في حالة استرخاء كاملة. أخيراً أوقف جو العمل ونزل عن السلم.

- هذا يكفي الآن، لقد التقطت كل ما استطعت الوصول إليه. وحان وقت الطعام.. شكراً للمساعدة.

منذ بضعة أيام فقط، أقنعت نفسها أنها تخوض معركة خاسرة لأنها لن تستطيع الإيقاع بجو وكان ذلك بعدما فشلت كل مخططاتها.. لكنها الآن، ودون بذل أقل جهد وجدته لا يستطيع انتزاع عينيه عنها... جعلتها سخرية القدر تبتسم ابتسامة مرة، فبعدما حصلت على ما تريد وجدت أنها لا تعرف ماذا تفعل أو كيف تتعامل مع الموقف. فكل ما تعرفه أنها فقدت الإحساس المرير الغاضب الذي دفعها أصلاً إلى طلب الثأر. كانت وثبات قلبها وخفقاتها تعلمها بمدى توقها إلى أن يرغب فيها جو كامرأة، ولكن تلك الوثبات القلبية تختلف كل الاختلاف عن تلك التي حركتها منذ زمن بعيد.

- هل تحدثت عن الطعام؟ اسمع سأذهب لأعده أتسمح لي بذلك؟

لم يكن صوتها ثابتاً، وكذلك ساقيها فقد بدأت الأرض تميد بها فجأة.

هز جو رأسه ببطء، وعيناه لا تغيبان عن وجهها. ثم بدا فجأة

وكأنه يهز نفسه داخلياً، بعد ذلك ابتسم بيسر فتلاشى التصلب عن عضلاته.

- حضري لنا شيئاً سريعاً وسهلاً. هناك الكثير من الخبز والجبن والفاكهة.. سنأكل هنا.. سأنظف الأرض تحت الشجرة أثناء إعداد الطعام.

كان جو متمدداً على المرجة الخضراء حين أتت سوكي حاملة الصينية الغنية بالمأكولات.

وقف بسرعة يقول:

- هاتِ.. فلأحملها عنك.

لامست يده يدها فأحست بدغدغة تشبه عودة الدم إلى طرف خدر اجتاح ذراعها. فأرسل موجة احمرار اجتاحت وجنتيها. أحنت رأسها إلى الأمام حتى غطى شعرها وجهها.

تناولا الطعام بصمت، وجدته سوكي مريحاً مقبولاً. عندما تمدد جو أخيراً تنهد قائلاً:

- طعام رائع.. لقد استمتعت على ما يبدو به، فللمرة الأولى منذ عرفتك أراك تأكلين وجبة معقولة!

ارتجفت بقلق، ومالت إلى نسيان جو الألفة الجديد

- لم أكن أعرف إلى أي مدى كنت جائعة

وضع يده على يدها:

- لا سوكي.. لا تفكري في تجويع نفسك على العشاء للتعويض.. عديني بهذا؟

ما الذي حدث لجو البارد القاسي الذي كان منذ يومين؟ أين هو؟ هل اختفى فحلّ محله رجل آخر يبدو مثله تماماً إنما بشكل مختلف، ولكنها لا تصدق أن لهذا الرجل صلة بجو هارلو الذي

تعرفه... أحست أنها مقسومة بين عنصرين: الأولى تدفعها إلى الاعتراف بهويتها لتبدأ بداية جديدة والثانية تنهاها عن ذلك خشية أن يتبدد حلمها الجديد إن عرف الحقيقة. شاهدته يبتسم، فأدركت تحت تأثير مزاجه الجديد الرقيق، أنها هزت رأسها موافقة دون أن تدري ما تفعل.

هبَّ على قدميه واقفاً وهو يردف:

ـ على كل حال، ستحرقين كل الحراريات التي أكلتها، فلدينا شجرة أخرى نقطفها، وقد جاء دورك لتتسلقي السلم.. هل سترافقينني؟

ترددت محدقة في اليد الممتدة إليها.. هذا هو الرجل الذي حرق لها مساحيقها، بإرادة ثابتة مدمرة، هذا هو الرجل الذي آمنت منذ يومين أنها تكرهه أشد الكره بسبب عجرفته وقلة اهتمامه بمشاعرها...

ابتسم لها ابتسامة عريضة وعيناه تلمعان بمرح دافىء:

ـ حسناً.. سأتسلق أنا السلم.

* * *

خرجت سوكي من المغطس الحار وراحت تجفف نفسها فشعرت بألم في عضلاتها ولكنه ألم مستساغ قانع، فلم تعمل منذ زمن طويل عملاً شاقاً كهذا، وهو عمل يختلف كثيراً عن قضاء الساعات الطويلة أمام الكاميرا. في غرفة النوم اختارت فستاناً بسيطاً عاجي اللون ذا ياقة مربعة. نظرت إلى نفسها في المرآة، وقررت أن من الممكن أن تبدو أسوأ حالاً منها الآن. فقد لامست الشمس بشرتها وأعطتها لوناً ورديا أخفى ذاك الشحوب وتكن من المؤسف

أنه ليس لديها كحل تزيد به اسوداد أهدابها ولكن جو كان قد ترك لها العطر.. فتناولته ووضعت منه قليلاً على معصميها، وقرابتها، وعنقها. ثم أضافت رشة خفيفة على كاحليها وخلف ركبتيها. ومدت يدها إلى الصندل الموجود قرب السرير. فيما هي ترتديه أجفلتها قرعة حادة على الباب:

ـ العشاء جاهز.

جعل صوته يديها تتعثران، فارتبكت حتى كادت لا تستطيع ربط الصندل.. فكرر جو:

ـ سوكي؟ هل سمعتني؟

ـ أجل.. ! أنا قادمة.. آف!

أفلتت العقدة من يدها ثانية، وسمعت الباب يفتح وجو يسألها:

ـ أهناك خطب ما؟ بدا صوتك مضطرباً.

ولكن صوتها لم يكن مضطرباً كما هو الآن. لم تكن بحاجة لتدبر رأسها حتى تراه، فقد اقشعرَّ جسدها كله. أطبقت رأسها منحنياً، وحدقت إلى الأرض. وقالت بصوت متهدج:

ـ لا أستطيع ربط هذا.

ـ فلأساعدك.

قطع الغرفة نحوها وركع أمامها يمسك قدمها ويمرر الأخرى على الشريط ليعقده بكل كفاءة:

ـ هاكِ.. لم يكن الأمر صعباً... والآن القدم الأخرى..

رفع رأسه وهو يتكلم، فلما التقت عيونهما، توقف الزمن بالنسبة لهما وبدت هذه اللحظة منفصلة تماماً عن الماضي والمستقبل... كانت يده دافئة على بشرة كاحلها وقبضته قوية

وثابتة، لكن لطيفة. قال بصوت منخفض أجش:

- سوكي...

أشاحت عينيها عنه بصعوبة ثم رفعت قدمها الأخرى لتربط العقدة ولكنها شعرت بأصابعه تلتف حول ساقها، ولم تتحرك تلك الأصابع لتلمس الرباط، بل راحت تداعب بشرتها الناعمة، عندئذ شعرت بمشاعرها تكاد تستولي على لبها.

حاولت أن تذكر نفسها أن جو أوقعها في الفخ هنا، وأتلف ما تملك وأخذ مالها وأبقاها غصباً عنها في الكوخ سجينة فعلية...

ولكن تلك الأفكار لم تحرك الغضب الذي كانت تحس به قبل الآن، ذاك الغضب الذي كان يجب أن تستمر في الإحساس به. وعلى الرغم من الحرارة التي كانت تجتاح عروقها، فقد أرخت عضلاتها المتوترة، حتى أصبحت مسترخية مطواعة أمامه.

ثم رفع جو رأسه، ليحدق في وجه سوكي وعيناه تتأججان بالشوق:

- يا إلهي.. ما أجملك.. ما أجملك!

جاء صدى هذه الكلمات من زاوية مظلمة في ذاكرة سوكي، فاجتاحتها موجة شك رهيبة، جعلتها ترفع يديها إلى وجهها لتخفيه عن نظرته السوداء الحادة، فصاح بصوت أجش:

- سوكي.. لا.. لا تخبئي وجهك عني! ألا تعلمين أنك دون ماكياج أجمل بكثير منك وأنت مطلية به؟

عندما هزت رأسها منكرة، وضع كلتا يديه على وجهها وكرر ببطء وتركيز:

- أنت جميلة سوكي.. لا تحتاجين إلى التصنع لتحسين ما أنت عليه... أنت فعلاً جميلة..

تحركت إصبعه على خدها الخالي من الزينة، وهي حركة لطيفة دغدغت مشاعرها برقة. وضعضعت تفكيرها السوي ولم تستطع الشك في صدق جو، فالصدق يرن في صوته ويلتهب في عينيه. ولكنها تعرف وجهها، وتعرف أنه دون ماكياج أكثر من عادي بقليل. فهمست:

- جميلة؟

- ألا تصدقينني؟ دعيني أثبت لك إذن.

هبّ من مكانه وأمسك بيدها فجرّها حتى طاولة الزينة وهناك دفعها ووقف وراءها تماماً. تمتم:

- انظري إلى المرآة سوكي.. انظري إلى نفسك..

حاولت أن تفلت منه.. فصاح:

- لا.. انظري إلى نفسك سوكي.

وضع يده تحت ذقنها ثم رفع رأسه بحيث لم يعد لديها بديلاً غير التقاء صورة عينيها في المرآة... أفلتت شهقة عجب من شفتيها... فقد شعرت بأنها تنظر إلى نفسها للمرة الأولى... فقد كان شعرها الأسود المشوش يضفي على وجهها نظرة أنوثة وكان ثغرها وردياً ممتلئاً ووجنتاها متوردتين حتى ما عادتا بحاجة إلى أي لون اصطناعي. وفوق هذا كله كانت عيناها كالزمرد، واسعتين صافيتين وكأنهما أوسع وأكبر من العادة.

فهمت أخيراً شيئاً ما كان يختمر في عقلها خلال اليومين الماضيين. فتذكرت وفي داخلها الآن رفيف أجنحة الفراشات، كيف كان ينظر جو إليها.. ونيران الرغبة تشتعل في عينيه. وأدركت كذلك أن نظراته ازدادت حدة منذ الحريق الذي أتى على ماكياجها.

ولكن المرآة التي تنعكس صورتها في المرآة لا تحتاج إلى

الماكياج. فهذا الوجه الذي لم تلمسه فرشاتها البارعة يبدو الآن دافئاً طبيعياً وناعماً رائع الجمال.

لقد سماها جو «سندريلا».. وفي الواقع هذا ما كانت تشعر به فقد كانت تظن أن ذلك المخلوق البشع كان يعود ليظهر ما إن ينتهي سحر أدوات الزينة والمساحيق. لكن جو أعطاها هدية أروع من أية هدية تعطيها الجنية. أعطاها ما أبعد عنها تلك الشكوك، وأعطاها الثقة بالنفس. سمعته يقول بصوت منخفض وكأنه استكمال لأفكارها:

ـ أرأيت ما أعنيه؟

«تحب كل امرأة أن تصبح جميلة» من أين تسللت هذه الجملة إلى تفكيرها.. لم تستطع أن تتذكر من أين، لأن كل محاولة قامت بها كانت تتبدد أمام صدمة جعلت شفتيها تنفرجان لتطلق منهما صيحة حيرة وذهول لم يكن أمامها وقت لتسمعها. فطيفها في المرآة اختفى ولم تعد ترى سوى وجه جو خلفها، وقسماته القوية، وعينيه القاتمتين وشعره اللماع. كان تفكيرها كذلك واضحاً صافياً، وكأن ضباباً قد ارتفع من حوله فجأة، تاركاً شيئاً واحداً في رأسها فقط.

إنها تحب جو حباً لا يشبه حب المراهقة ذاك بل تحبه حباً عميقاً صادقاً يملأ عليها قلبها.

سمعت في أعماقها كلمات أتيت تهمس لها: «قد يرتد الانتقام على صاحبه فيصبح ألماً فظيعاً لا يتوقعه المنتقم».

وقد حدث فعلاً أن ارتد انتقامها عليها. منذ دقائق قصيرة أرادها جو. أراد أكثر مما حلمت به منذ تسع سنوات وقد كشف عن رغبته بلمساته، بنظراته... ولكنه لم ينطق بكلمة حب واحدة.

أحست وكأن يداً باردة تعصر قلبها. فهي أثناء استغراقها في أفكار الانتقام كانت عمياء عما يحدث لها... والآن، فهمت الحقيقة ولكن متأخرة.

لقد أحكمت شركها حول جويل هارلو.. ولكن الذي وقع في النهاية نفسها، ونفسها فقط.

* * *

فراشة المخبأة

فراشة المحبة

١١ ـ سندريلا عادت إلى الماضي

ابتسمت آنيت متعاطفة مع سوكي التي غرقت في كرسي ذي ذراعين:

ـ يا إلهي.. ما أشدّ سعادتي بالعودة إلى المنزل!

ـ أكان يومك قاسياً؟

ـ ليس أسوأ من المعتاد.. ولكنني لم أعد أقوى على الاحتمال مؤخراً. ولا أدري السبب... أحس بالتعب طوال اليوم.

ـ إنك على غير العادة. كدت أقول لك إنك بحاجة إلى الراحة، ولكنك عدتِ للتوّ من عطلة مريحة.

اجتاح لون ناري وجنتيها فهي لا تحتاج إلى من يذكّرها بالاسبوع الذي قضته في الكوخ... فكل يوم من أيامه محفور في ذاكرتها.. نعم لا تنكر أنها وجو أمضيا وقتاً طويلاً دون عمل إنما ما كانا يقومان به لا يسمّى راحة. لقد وجدا الهدوء في بعض الأوقات ولكنهما في أخرى راحا يستكشفان الريف أو يعملان في الحديقة. لقد كانت أياماً منتزعة من الزمن، تمتعا فيها بالمناظر، وبأصوات الطبيعة، وتمتعت بالإحساس بوجوده معها، مع كل روعة حبها الذي وجدته.

ولكن، ما هو مثالي، لا يدوم.. وكان عليهما أخيراً العودة إلى

الواقع. وما إن عادت إلى فيلادلفيا حتى صدمها ذلك الواقع، وأجبرها على مواجهته بأمانة.. لقد مرت خمسة أسابيع على رحلتهما، كان لجو خلالها تواجد متواصل في حياتها. فرفقته مبهجة ومعاملته مهلبة ومحبة... إنما لم يقل ولو مرة واحدة كلمة «حب».

قالت لآنيت:

ـ ما عدت قادرة على قرع طبول الحماسة. فلم أكن لأدرك من قبل أن حياة عارضة الأزياء قد تكون مثار إشفاق وأنانية.

ـ الاهتمام بالمظهر أمر مختلف، ولكن بعض الناس يأخذونه على محمل الجدية.

تمتمت سوكي موافقة.. فهي قد أخذت الأمور على محمل الجدية وكان جو قد بيّن لها إلى أي مدى كانت غارقة في هذه الجدية... واجهها بحقيقة أمرها بحدة عندما حرق لها كل مساحيق الزينة التي ظنتها يوماً مهمة جداً لحياتها، ولكنها الآن باتت تراها أمراً زائداً عن اللزوم. كانت مدهشة سرعتها في التكيف مع هجر الماكياج، وقد كادت اليوم وهي تقوم بالتحضيرات اللازمة لمهمة تصوير تشعر بالضجر والتعب منه فقد أحست بوجهها ثقيلاً ولزجاً.

أكملت آنيت:

ـ أظن أن تعبك هذا يعود إلى دنوّ دورتك الشهرية.

ذكرتها ملاحظتها بملاحظة المصور رودلف الذي قال لها:

ـ أكنت تزيدين وزنك مؤخراً عزيزتي؟

كان تقطع وجهه الصبياني تقطية تأنيب.. تابع بعد أن ارتدت أحد الفساتين التي ستتصور فيها:

ـ وكأنني أراك قد اكتسبت بعض الوزن.

يومذاك لم تأبه لملاحظته كثيراً واكتفت بأن فكرت في أن تزن نفسها حين تعود إلى المنزل.

ذلك المساء، حين فتحت لجو الباب قال لها بسرعة:

ـ تبدين متعبة.

قاومت سوكي رغبة متوترة في الضحك، فهي في هذه اللحظة أبعد ما تكون عن الضحك والغناء والصراخ للعالم كله أن شيئاً رائعاً قد حدث لها... فهي ما عادت تشك في حبها له.. وهذه الفكرة أعطتها دفعاً قوياً من الطاقة حتى أصبحت غير قادرة على الجلوس هادئة، فكانت تجلس تراقب الساعة، تتمنى على الوقت لو يسرع حتى يصل جو.

ولكنها الآن، حين شاهدته أمامها، مديد القامة واثقاً من نفسه في سترة جلدية سوداء وقميص أبيض وسروال أسود، تبخرت خفتها وكأنه ضباب يتلاشى أمام الشمس، لتحل محلها شكوك تهز الأعصاب. لاحظ جو شحوبها فقال:

ـ يستحسن أن تجلسي.. ما خطبك سوكي؟ ألست على ما يرام؟

ـ لا.. فأنا...

أحست بلسانها ثقيلاً في فمها، ولم تعد تستطيع إيجاد كلمات مترابطة واختفى ثبات أعصابها وهي تلتقي بعينيه المتسائلتين:

ـ هل تناولت الطعام اليوم؟

الطعام؟ تذكرت أنها لم تتناول إلا سندويشاً فأعصابها كانت متوترة حتى شكت في قدرتها على ابتلاع شيء. هزت رأسها بصمت نافية، فسمعت تنهيدة جو الساخطة.

ـ ظننتك شفيت من الهبل... سأعد لك شيئاً فوراً.. لا..

ابقي حيث أنت.. أستطيع تدبير أمر نفسي. أتودين بعض القهوة أم لا؟

ـ سيكون هذا رائعاً.

لم تكن تريد وجبة طعام لأنها تعلم أنها لن تتمكن من تناول شيء.. ولكنه كان قد اختفى في المطبخ، فعادت سوكي على مضض إلى مقعدها.. وسمعته يصيح:

ـ سوكي.. أين تحتفظين بوعاء القهوة؟

ـ في الخزانة فوق المغسلة، الرف الثاني في الجهة اليمنى.

بعد لحظات، ضربتها الصدمة بقوة حتى كادت معها تقفز من مقعدها لتجري نحو المطبخ.. ولكنها تأخرت، فقد وجدت الخزانة مفتوحة على مصراعيها، وجو واقف يحدق مصدوماً إلى صورة سوكي حين كانت في السابعة عشرة.

تسمّرت على الباب، خافقة القلب متألمة... كان الصمت الذي سبق كلام جو طويلاً حتى أثر في أعصابها وكاد يدفعها إلى الصراخ.

ـ من هذه؟

ـ إنه...

ـ لمَ تحتفظين بصورة روزي بلاك؟

ـ لأنها.. لأنها أنا.

ـ أنت!

عادت عيناه إلى الصورة مجدداً، فامتقع وجه سوكي خجلاً... لم يصدمها مظهر روزي الطفولي أو ماكياجها الأخرق كما صدمها اليوم. الآن فهمت ردة فعله منذ تسع سنوات..

لم يظهر في صوته أثر للتصديق وهو يسأل:

ـ أنت روزي بلاك؟ شقيقة لويس؟

ـ بل أخته بالتبني في الواقع. تزوج والد لويس والدتي عندما كنت في العاشرة من عمري، وتبناني. كان اسم روزي كنية أطلقها عليّ لويس للتحبب، فاستخدمه الجميع في بلدتي.

قطب جو:

ـ ولماذا لم تقولي هذا من قبل بحق الله؟

كيف ترد على سؤاله هذا؟ أحست أن عليها اجتياز حقل ألغام، لا تعرف متى تخطىء في الخطو فينفجر لغم تحتها.

ـ لم يبد لي الأمر في البدء مهماً. فقد التقينا منذ زمن بعيد، ويومذاك لم أظنني سأراك ثانية بعد ليلة العرض في فندقك الجديد دياموند... ثم أوضحت لي تماماً أنك.. مهتم بي... و... ولم أرغب في أن تعرف من أنا.. أردت أن تراني امرأة مختلفة، امرأة تختلف عن تلك المراهقة التي التقيت بها منذ سنوات.. أردتك أن ترغب فيّ أو أن تهتم بي.. أردت أن تعرف الألم الذي حلّ عليّ بسببك.

ـ وهل آلمتك يوماً؟

ـ أجل آلمتني! قلت عني أشياء رهيبة أمام لويس.. حين اقترح أن أعمل في فندقك، قلت إنك تريد فتاة تجلب الزبائن.. لا تخيفهم..

أصمتها تعابير وجهه المكفهرة:

ـ أسمعت ما قلته؟

ـ أجل.. سمعت! كنت في الطابق العلوي أمام نافذتي وقد سمعت كل شيء!

انخفضت كتفاه إلى الأسفل وكأنه أحس بالتعب فجأة، ثم دفع

يده في شعره وعيناه ما تزالان ثابتتين على وجهها:

ـ إذن.. كل هذا.. علاقتنا.. الوقت الذي قضيناه معاً في الكوخ.. كل ما رغبت فيه من هذه العلاقة الانتقام؟

لم تعرف بما تجيب، فقالت متلعثمة:

ـ أجل... لا... أجل.. أردت الانتقام..

لكنه لم يترك لها المجال لتنهي كلماتها.. فما إن قالت أجل، حتى اسودت أسارير وجهه، وقست قساوة الصخر ودون أن يقول كلمة دفعها جانباً ثم دخل إلى غرفة الجلوس وهناك توقف قليلاً ليتناول سترته قبل أن يتوجه إلى الباب.

ـ جو.. إلى أين؟

ـ سأخرج!

ـ جو.. أوه أرجوك لا تذهب..

ولكنها كانت تكلم الفراغ، فقبل أن تفتح فمها كان قد رحل.

* * *

ـ إذن الأمر نهائي.

هزت سوكي رأسها بصمت، فنظرت إليها آنيت:

ـ وماذا ستفعلين؟ ألم يأتِ إلى هنا مؤخراً؟

ـ لا.. لقد انتهى الأمر بيننا.

مرت سحابة قاتمة على وجهها، وأصبحت عيناها كليلتين مظلمتين.. لقد مضى أسبوع على خروج جو من الشقة.. أسبوع لم ترَه فيه ولم تسمع عنه شيئاً... لا تستطيع أن تتصور إلا أن غضبه بسبب خداعها دفعه إلى أن ينهي علاقتهما إلى الأبد... حسناً، توقعت شيئاً من هذا القبيل إنما ليس بهذه السرعة، ليس

وهي غير مستعدة للفراق بعد...

ـ ألم تتصلي به؟ ألم تشرحي له الأمر؟ يجب على الأقل أن يكون بينكما فرصة للتفاهم.

ـ آنيت.. إنها حياتي.. ويستحيل أن أذلّ نفسي أمامه.

ـ لكن جو...

ـ لكن جو.. لا شيء.. آنيت.. لقد انتهى...

واختنق صوتها بعدما اجتاحتها موجة قنوط من وضعها المرير. لقد خططت للإيقاع به وأرادت أن تخبره في النهاية أنها روزي بلاك وأنها كانت تستغله بدافع الانتقام وقد حدث هذا فعلاً.. ولكن المفارقة التي وقعت لم تكن على استعداد لها فهي لم تخطط للوقوع في حبه، وهذا الفراق تركها بين إحساس باليأس وآخر بالنصر.

ـ لقد خرج جو من حياتي آنيت.. ولن أجيره على العودة...

قاطعها رنين جرس الباب المدوّي بطريقة متواصلة وكأن الإصبع الذي يضغط عليه يرفض أن يتحرك بعيداً عنه. فوقفت آنيت.

ـ يستحسن أن أرد.. فمن يقرعه مصمم الحصول على رد.

حالما غادرت صديقتها الغرفة، فتشت سوكي عن منديل في حقيبتها، لتنفخ أنفها بقوة. كانت تحاول مقاومة الدموع التي انهمرت تحرق عينيها..

سمعت همهمة في الباب ثم نادتها آنيت، بصوت غريب غير مستقر:

ـ سوكي، في الباب زائر.

اتجهت سوكي على مضض إلى الردهة وهناك توقفت مصعوقة

فإلى جانب آنيت رجل أسمر طويل... كان يجب أن تعرف! وكان على حاستها السادسة أن تحذرها! فهناك رجل واحد يستخدم جرس الباب بهذه الطريقة الملحة الملوكية.

قال جو بهدوء:

ـ مرحباً سوكي.

ـ أهلاً جو.

لم يكد يسمع ترحيبها.. فما إن شاهدته حتى أوشك قلبها على التوقف عن الخفقان. لكنه عاد يخفق بجنون، مشارعة نبضاته ومدوية في أذنيها.

ـ أريد التحدث إليك.

عيناه القاتمتان مثبتتان على وجهها...

ـ هل لك أن تمنحيني خمس دقائق من وقتك؟

لم تجد رداً فعلايين المشاعر المتضاربة تهدّد بتمزيق قلبها وعقلها شر تمزيق. كان جزء كبير منها مغتبطاً برؤيته، فعيناها استقرتا بجوع على قسمات وجهه القاسية الوسيمة، وكأنها شخص كان يتضور جوعاً ثم وُضعت أمامه مائدة عارمة... أما الجزء الآخر، الجزء المتعقل فيها فكان يصيح بها طالباً منها عدم الانقياد به... فهي عاجزة عن رؤيته هكذا دون أن تلقي بنفسها بين ذراعيه..

عقدت بشكل غريزي ذراعيها حول صدرها وكأنها تخاف أن تستشف عيناه الثاقبتان ما يعتمر في صدرها.. ولكن إن أمضت معه بعض الوقت فقد تضعف.. وتقضي له كل ما في قلبها دون تفكير.

ـ لا أظن..

قاطعتها آنيت بسرعة:

ـ اعذراني، فقد تركت الطنجرة على النار.

تجاهلت وجه سوكي المتوسل، ثم دخلت إلى شقتها موصدة بابها بحزم.

تباً لك أنيت! أحتاجك! ولكن لا سبيل إلى استدعائها! فكان أن استدارت إلى جو على مضض فلاحظت للمرة الأولى هدية ملفوفة بورق خاص في يده.

سألته، وشفتاها جافتان جفافاً جعلت الكلمات تخرج منها مرتفعة متوترة:

ـ ماذا تريد أن تقول؟

ـ لا يمكننا الكلام هنا.. فلندخل إلى شقتك.

أرادت سوكي عدم التزحزح من مكانها... فليقل ما يريد هنا.. لكنه أمسك يدها واقتادها بلطف وحزم إلى الشقة. على الرغم من خفة لمسته شعرت بأن ما تبقى من سيطرتها على نفسها توشك أن تدمر، فقد تاقت إلى الاتكاء عليه وتاقت إلى أن تسمح ليدها بالاستراحة بين يديه كما فعلت في الأسابيع القليلة الماضية. وكان توقها هذا غامراً فشعرت بالذعر لأنها كادت ترمي نفسها فعلاً بين ذراعيه.. انتزعت ذراعها منه بخشونة... إنها مستعدة للذهاب معه ولو إلى آخر الأرض فقط إن قال لها إنه يحبها... ولكن هذا أمل خائب. أمل جعل الدموع تغشى عينيها فتعثرت يدها في وضع المفتاح في قفل الباب، وبقيت على تعثرها حتى امتدت يد هادئة تناولت منها المفتاح.. بعدما فتح الباب تراجع لتتقدمه إلى الداخل.

منحها منظر أغراضها المألوفة دفعاً احتاجته لثقتها، فسحبت نفساً عميقاً ثابتاً، ثم استدارت إليه.. تنظر إلى ساعته قبل أن تنظر

إليه.

ـ قلت خمس دقائق، مرّ منها دقيقتان حتى الآن. ولم يبقَ لك إلا ثلاثاً قبل أن أطلب منك الرحيل.

وضع جو الهدية على الطاولة.

ـ اجلسي سوكي.

فشاهدها تهز رأسها بحزم.

ـ أفضّل الوقوف.

ـ كما تشائين.

لاحظت أمام دهشتها التوتر بادياً عليه كما لاحظت التصلب ظاهراً في حركة كتفيه وهذا التصلب وهذا التوتر دليلاً بيّناً على توتره الداخلي. بدا غير واثق كيف يبدأ الكلام معها.. لكن لا هذا غير معقول... جو غير واثق... مستحيل! ودت لو يسرع فيقول ما يريد، لأن صمته كان يوتر أعصابها إلى أقصى مدى. قالت:

ـ جو.. قل لي فقط.. لماذا جئت؟

ـ جئت معتذراً.

توافق سؤالها المتوتر ورده الهادىء كل التوافق.

ـ جئت...؟

ـ جئت معتذراً.

صوته الآن أقوى وكلماته أوضح... فاشتعل شعاع أمل في رأسها.

ـ عمَّ تعتذر؟

ـ عما قلته للويس عنك.

ترنحت الشعلة البسيطة في مهب الريح وانطفأت، تاركة فراغاً

مظلماً مهجوراً. جاء معتذراً عن الماضي ولكن الماضي لا يهمها بل المستقبل هو ما يهمها... المستقبل هو ما يقلقها... أردف بصوت منخفض:

ـ لم أكن أعلم أنك تصغين إلينا.. ولأكون صادقاً أقول إنني لم أكن أعلم أن هذه الكلمات ستؤلمك إلى هذا الحد. كنت عديم المسؤولية. ظالماً ومجحفاً لذا أنا آسف أشد الأسف.

استخدمت كل ذرة من سيطرتها على نفسها لتخلف التوتر من صوتها:

ـ لا يهم.. حدث هذا منذ زمن طويل. ربما كان من المفيد أن أسمع ما قلته.. فقد أفهمتني كلماتك أشياء كثيرة. أفهمتني أنني مهملة فيما يتعلق بمظهري.. في الواقع يجب أن أكون شاكرة لك.. فقد دفعتني إلى أن أرى نفسي على حقيقتها. لم يعجبني ما رأيت.. أنت من وضعتني على الطريق الذي أسلكه اليوم. ولولاك لما كنت عارضة أزياء.

هز رأسه ببطء. وقد ظهر أن توتره خفّ قليلاً مع أن عينيه ما تزالان على ظلمتهما.

ـ كنت ستنجحين دون هذا.. فأنت فتاة جميلة.. امرأة مذهلة.. ربما أعطيتك دافعاً لا أكثر.

أخمدت البهجة التي اعتملت في نفسها من جزاء إطرائه. إنها تعلم أنه يؤمن بجمالها، وأنها الآن وبسببه تشعر بأنها أجمل من ذي قبل. كما تعرف أنه يرغب فيها، ولكن الرغبة لا تكفي.. تملك قلبها الألم، وجعل صوتها متهدجاً.

ـ حسناً.. لقد قلت ما أردت..

قاطعها بخشونة:

ـ لا.. لم أنته بعد. هناك شيء آخر أود قوله لك.. لو أصغيت لي.

في صوته رنة جديدة، رنة مترددة مدافعة، وفي عينيه بريق توسل.. بريق لم تستطع معه مقاومة الرغبة في التحديق إليه. ولكنها غضت الطرف مذعنة:

ـ أنا مصغية.

شبك يديه بشدهما بقوة حتى ابيضت مفاصل أصابعه.. فأحست برعشة تهزّها لأن حركته تلك تشير إلى قلقه ونفاذ صبره، وأهمية ما سيقول:

ـ أنت لم تقابلي أمي بعد.

لم تكن كلماته ما تتوقعه فكان أن هزت رأسها بصمت ولكنها تذكرت ما قاله جاين عن أمه فتصورتها امرأة باردة متكبرة. سمعته يكمل:

ـ كانت أصغر من أبي بعشرين عاماً تقريباً.. أنجبتني وهي في الحادية والعشرين.

مرّر مرة أخرى يده في شعره. والعبوس يغضن جبينه... فأحست بعطف غريب تجاهه لأنها شعرت بأنه يجد صعوبة في ما يقوله، كما أدركت أنه يتحدث عن شيء في غاية الأهمية بالنسبة له.

ـ كانت أمي فراشة اجتماعية.. وما زالت.

كانت متيقظة لكل نبرة ولكل حركة فالتقطت سوكي التوتر الخفيف الذي أخبرها بالجهد الذي يمارسه ليحافظ على صوته طبيعياً..

ـ أعتقد أنها بطريقتها الخاصة، أحبت والدي.. ولكنها أحبت

ماله أيضاً. كانت تعشق الخروج إلى حفلات الرقص وإلى المسارح... وكانت تُبدي اهتماماً شديداً بمظهرها وبشعرها وماكياجها.

نظر إليها فشاهدت المشاعر التي تتشابك في عينيه. ولكنه أخفى هذا بسرعة.

- لم تكن تريد أطفالاً في الواقع. خاصة صبياً.. وربما لو أنجبت فتاة في البداية لاختلف الأمر، ولكانت أحبت جابر أكثر.. ولكنها بدت لا تعرف ماذا تفعل بي بعد مرحلة الطفولة.. كنت خشناً، وسخاً، مزعجاً. فالألعاب التي أرغب فيها كانت تفسد ثيابها وتشعث شعرها.. لذلك أمضيت معظم أوقاتي مع المربية حتى أصبحت في عمر يسمح لي بالدخول إلى المدرسة الداخلية.. لم أكن أراها إلا مساءً مدة نصف ساعة وذلك حين كانت تغير ملابسها استعداداً للعشاء أو لأي شيء آخر. كنت في هذا الوقت أحدثها عما مرّ بي يومي ثم أذهب إلى الفراش.

- تجلس وتتحدث؟ وماذا عن عناق، أو تدليل أو قبلة؟

أزعجها لمعان الغضب المتوحش في عينيه، ولم تخدعها هزة كتفه غير المبالية أو الطريقة التي تكلم بها

- كان ذلك سيفسد مظهرها.. قبلني قد تفسد لها أحمر الشفاه.

أحست بألم وبالشفقة على ولد كان فيما مضى وحيداً محروماً من الحنان الذي يحتاجه كل طفل.

- أوه.. جو!

فهمت الآن عداءه الشديد لولعها بمظهرها كما فهمت الآن ما دفعه إلى حرق ماكياجها بوحشية ولا مبالاة

- وماذا عن جابر؟

- حاولت جابر جاهدة أن تقلّد أمها.. كانت تحمي نفسها من الطعام حتى أصبحت على شفا فقدان حيوية الأنسجة. فكافحتُ أنا وتشابس بقوة لجعلها تعود إلى طبيعتها فتتناول حاجتها من الطعام. بعد ذلك كرهت كل ما كانت تمثله أمها، وما عادت تهتم بالماكياج

ليس غريباً إذا غضب جو عندما زجّت أنثها في شؤون أخته! لقد ارتعد دون ريب من فكرة عودة شقيقته إلى ما كانت عليه أمها

- لهذا كرهت الطريقة التي تضع فيها النساء زينتهن. وحين رأيتك ذلك اليوم في منزلكم، ثرت وغضبت لأنني وجدت فتاة صغيرة جميلة مثلك..

وابتسم أمام دهشة سوكي ثم أردف

- أوه.. أجل. حتى تحت طلاء الحرب ذلك عرفت أنك يوماً ستكونين جميلة فعلاً. ولكنني كرهت الطريقة التي أفسدت بها جمالك الطبيعي لتظهري نفسك بمظهر امرأة ذات حنكة ومع ذلك ما كان يجب أن أقول ما قلته.. لأنني دفعتك إلى هذه الوسوسة بشأن مظهرك. شعرت بالذنب، والخجل، فلم أستطع مواجهتك. فكان أن أمضيت الأسبوع الماضي في التفكير.. أنا آسف حقاً.. فهل تسامحينني؟

ثم ظهر التردد أو الاستعجال على صوتها

- طبعاً.. لكن ليس هناك في الواقع ما أسامحك عليه.. لقد سبق أن قلت لك هذا. فهمت الآن لماذا تصرفت كما تصرفت. ولماذا حرقت مستحضراتي.

- كان ذلك أمراً مختلفاً.

ثم دار حول الطاولة فالتقط العلبة وأعطاها إياها:

ـ هذه لك.. لتعبّر لك عن شدة أسفي..

هل ستكون حمقاء فتسمح لنفسها بأمل هش صغير؟

ـ جو.. ما الذي جعل ذلك مختلفاً؟

هز رأسه بحزم:

ـ افتحي العلبة أولاً. أجيبك إن بقيت راغبة في الإجابة.

عندما فتحت ورقة الهدية المذهبة كانت يداها مرتجفتين... راحت تخرج المساحيق والزجاجات واحدة واحدة ثم تضعها على الطاولة.. كان قد تذكر كل أنواع مستحضراتها واشترى ما يماثلها في الجودة والنوع. بالنسبة لرجل يكره زينة النساء يعتبر ما يقدمه أقصى درجات الكرم... جلست صامتة غير قادرة على الكلام، مع أنها كانت تعلم أنه ينتظر منها قول شيء، ولكنه قال أخيراً:

ـ سوكي...

جذب صوته عينيها إلى وجهه، فرأت شكوكه ولمست قابليته للغضب. فتمتمت بصوت خفيض:

ـ أوه.. جو.. لست بحاجة إلى هذه.. ليس بعد الآن. كنت على حق بشأن وسوستي بمظهري، كأمك تقريباً وما فعلته هزني حتى أدركت هذه الحقيقة. أتذكر كيف دعوتني سندريلا؟ كان وصفك بطريقة ما صحيحاً. كنت فعلاً كسندريلا التي رمت خرقها البالية وعلمت أنها جميلة.. ولكنني لم أستطع الرؤية بوضوح وحدي وكنت أنت من ساعدني على رؤية كل شيء بنظرة مختلفة.. لذلك لن أحتاج إلى كل هذا...

وصمتت فجأة خائفة مما كشفت من نفسها. نعم جو باح لها بما في نفسه واعتذر منها بصراحة وصدق.. ولكنه لم يتفوه بكلمة

واحدة عن الحب. لذلك لن تبوح بما في نفسها له أكثر. وسألها:

ـ لماذا لن تحتاجي إليها سوكي؟

ـ أتجيبني أولاً عن سؤال واحد؟

هز رأسه موافقاً فأضافت:

ـ قلت إنك أحرقت مساحيق التجميل لأسباب مختلفة.

أكد لها بصوت أجش ونعومة غريبة في عينيه بعثت الثقة التي تحتاجها إلى نفسها:

ـ أجل.. ثمة أسباب مختلفة.

ـ ما هي إذن؟

كان للبسمة التي أضاءت وجهه دفء غير متوقع، انعكس بريقاً في عينيه.

ـ حين قلت تلك الأشياء عنك للويس كنت ببساطة أرد على ما وجدته إفساداً لجمال فتاة صغيرة حلوة.. ولكن حين أحرقت المساحيق كنت أدمر شيئاً كان يمنعني من التقرب إلى المرأة التي أحببتها.

لاحظت سوكي الآن فقط أنها كانت تحبس أنفاسها فتركتها تخرج بتنهيدة طويلة بعدما ارتسمت على شفتيها ابتسامة رضى عميق.

لمعت عيناها كزمردتين خضراوين وسألت بصوت أشبه بالهمس:

ـ أتحبني جو؟

دفعت تقطيبته قلبها إلى الخفقان.

ـ تباً لك أيتها المرأة.. أنا مجنون بك! لم أستطع الابتعاد عنك منذ البداية.. مع إنك بدوت لي امرأة يجب أن أكرهها. لكن،

حين أعدت إليك ساعتك يوم النزهة شاهدتك كما كنت أتصورك بدون الماكياج لطرة، طبيعية، جميلة. خسرت قلبي بالكامل.. لكنني... خشيت أن أبوح لك بذلك.

وهذا ما تفهمه تماماً، فبعد سنوات من رفض أمه الحب الذي يكنه لها سيكره بشكل طبيعي أن يفتح قلبه لامرأة أخرى قد تؤلمه.. قال بصوت أجش:

ـ سوكي.. يجب أن أعرف مشاعرك نحوي.

اتسعت بسمتها:

ـ أووه.. جو.. كيف كانت تشعر سندريلا إزاء أميرها الساحر؟

ـ كنت أميراً ساحراً؟ لقد تآمرت عليك وأبقيتك سجينة.. وحرقت لك...

تحركت فجأة لتضع يدها على فمه:

ـ قلت لك إنني لم أعد أحتاج إلى الماكياج.. ولم تكن بحاجة لارجاعها لي.

ـ لا تريدينها؟ حسناً. إذا كنت لا تريدينها مني ربما تأخذين هذا عوضاً عنها.

مدَّ يده إلى جيبه وهو يتكلم فأخرج علبة مجوهرات صغيرة.. ما إن رأتها سوكي حتى ارتجفت من رأسها إلى أخمص قدميها. قال جو:

ـ عندما زرتك آخر مرة، كنت مقدماً على أن أطلب يدك للزواج، ولكن حين رأيت صورتك تلك، وعلمت أنني الرجل الذي دفعك إلى أن تكوني كأمي أحسست بالذنب يعذبني خاصة حين قلت إن ما أردته مني كان الانتقام.

حينما نطق الكلمة الأخيرة كان صوته خشناً فنظر إليها وكأنه غير واثق من نفسه. فقالت له شارحة:

ـ هكذا بدأ الأمر... كنت أظن أنني أكرهك. لكن في الكوخ تغير كل شيء.. فقد أدركت وأنا فيه حقيقة مشاعري التي لم تكن كراهية.. بل حباً. أحببتك وأحببت من كل قلبي.. في هذا الاسبوع شعرت أنني بدونك شبه حية.. أحبك.. وأرغب فيك.. وأحتاج إليك.. أحتاجك أباً لأولادي.

صمت مفكراً، يحدق فيها ووجهه مذهول.

ـ وهل تريدين إنجاب الأطفال بسرعة؟

ـ أجل في أسرع وقت ممكن... أوه جو.. هل تمانع؟

ـ أمانع.. بل أتوق إلى هذا كثيراً.. أوه سوكي حبيبتي، هذا يعني أنك موافقة على الزواج بي!... آه، ليتك تعرفين مدى حسدي لجابن وتشايس. سوكي هل أنت واثقة؟

ـ كل الثقة.. وأنا...

ضاع ما تبقى من الكلمات حين حملها بين ذراعيه في عناق شديد شرس كاد يقطع عليها أنفاسها، وارتفعت يده تتلاعب بشعرها، يرجعه إلى الخلف عن وجهها برقة متناهية.

ـ لقد جعلتني بهذا أسعد رجل في العالم.. أنت لا تعرفين ما تعنيه لي موافقتك.

سيكون جو بعدما عاناه في طفولته زوجاً رائعاً وأباً محباً مخلصاً.. أحست بالخدر من السعادة فاسترخت بين ذراعيه، تاركة نفسها هانئة مستريحة على صدره ثم برزت لرأسها فكرة... فتمتمت:

ـ ذلك الماكياج.

ـ استخدميه أو لا تستخدميه، لك ما تشائين.. لا يهمني لأنك دائماً عندي أجمل امرأة في الوجود.. بل المرأة الوحيدة..

زوجتي!

ـ زوجتك..

كان للكلمات أجمل وقع في أذنيها فرقصت الضحكة في عينيه، وبدا فيهما الخبث:

ـ أريد أن أعرف شيئاً واحداً بعد، سندريلا.. هل تتحولين حقاً إلى ما كنت عليه بعد منتصف الليل؟ سأكره أن أستيقظ صباحاً فأجد بقطبة تعانقني!

انفجرت ضاحكة:

ـ ألا تعرف الرد على هذا السؤال! ماذا عن الأيام التي قضيناها معاً في الكوخ؟ ألا تذكرها؟

ـ لم أعد واثقاً.. ربما تتكرمين بتذكيري.

ـ بكل سرور...

ولاح أمام عينيها خاتمة الكتاب الذي كانت تقرأه وهي صغيرة: «وتزوجت سندريلا من الأمير الساحر.. وعاشا في سعادة إلى الأبد».

* * *

فراشة المحبة